مجلة جامعة النجاح للأبحاث، (العلوم الإنسانية)، المجلد ١٩ (٤)،٢٠٠٥

الزمن في "حفريات على جدار القلب" للروائي/ حبيب هنا
Time in the "Engraving on the Heart's Wall" by the Novelist, Habeeb Hana

سعد العزايزة
وزارة التربية والتعليم العالي، غزة، فلسطين
بريد الكتروني: saad__azaiza/@yahoo.com
تاريخ التسليم: (٢٠٠٤/١٢/١٨)، تاريخ القبول: (٢٠٠٥/٥/١٥)

ملخص

يتناول البحث الزمن في رواية حفريات على جدار القلب للكاتب حبيب هنا، ويهدف إلى تحديد أنواع الزمن في الرواية وهي: الزمن الحقيقي، والنفسي، والتاريخي، والكوني. كما يهدف إلى إبراز علاقات الزمن، ومدى ارتباطها بالبيئة المكانية وحركة الشخوص والأحداث. ويكشف البحث عن قدرة الكاتب على توظيف العناصر البنائية السابقة من خلال معالجة بعض أحداث انتفاضة الأقصى، التي تداخلت فيها الأزمنة بشكل فني له غايات جمالية.

Abstract

This research deals with "Time" in Habeeb Hana's novel "Engravings on the Heart's wall". Besides, it aims at identifying the Types of time namely: the real, psychological, historical and cosmic times. The research, moreover, highlights the relation between time and its extension with the environmental place, the characters movement and the incidents. The research reveals the authar's ability to skilfully employ the above Mentioned artistic tools through dealing with the AL AqSa Intifada in cidents where types of time are combined artistically inorder to achieve aesthetic goals.

مقدمة

يعد الزمن من العناصر المهمة في الكتابة الروائية، حيث تشكل مراحله محطات ترفد العمل القصصي بأبعاد ذات دلالات واضحة ومؤثرة. والزمن في الرواية الفلسطينية له روافده التي تجعله تربة خصبة لما تمتلئ به هذه الساحة من هموم تغوص في أعماق تاريخ الفلسطينيين ووجدانهم.

في رواية "حفريات على جدار القلب" أو "الانتفاضة الثانية" للكاتب الفلسطيني حبيب هنا[١]، تبدو معالم الزمن تتأرجح بين مرحلتين بارزتين: "الأولى" بعد محطة أوسلو حين ظن بعض الفلسطينيين أنه في استراحة أو استرخاء، انصرف فيها الشباب إلى عواطفهم والناس إلى معايشهم، ثم ما لبث أن انكشف

الزيف باندلاع انتفاضة الأقصى "المحطة الثانية" لتظهر الحقيقة المرة وتتكشف أقنعة الوهم تجاه الحلول المصطنعة.

ورغم التفات بعض الباحثين إلى جوانب مختلفة من أدب الانتفاضة، فإن هذه الرواية . في حدود علم الباحث. لم تحظ بدراسة شاملة تعنى بمعالم أحداثها ومدى تداخلها مع الزمن، ومدى ارتباط ذلك بصورة لافتة مع باقي العناصر البنائية التي تشكل الإطار الفني العام للرواية.

وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جانب من تلك الغاية، التي تعنى بتجلية أنواع الزمن في الراوية، التي تداخلت فيه أحداث انتفاضة الأقصى مع عناصر عدة منها: المكان الذي يمثل وحدة الأرض ووحدة المصير، والشخصيات القلقة التي تمثل لها الحلم الفلسطيني في الشباب المقاوم، وكذلك في صورة الأطفال الذين يواجهون المخرز بعيون لامعة لا تعرف الخوف أو النكوص. وستعنى هذه الدراسة أيضاً بالكشف عن تداخل الأزمنة أو تبادل مواقعها في آلية سرد الأحداث، وذلك للوقوف على قدرة الكاتب على توظيف هذه العناصر متكاملة في هذا العمل الفني، الذي استطاع أن يعبر . في ظني . عن مرحلة حاسمة من مراحل الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي.

* وقد جاءت محاور الدراسة على النحو التالي:

- مفهوم الزمن.
- الزمن في الرواية الفلسطينية.
- أنواع الزمن.
- علاقات الزمن.
- تداخل الأزمنة.

مفهوم الزمن

الزمن أو الزمان، كما ورد في لسان العرب، اسم لقليل الوقت أو كثيره، يقول بعض العلماء، إن الزمن والدهر شيء واحد، ويرى آخرون أن الزمن من شهرين إلى ستة أشهر، بينما الدهر لا ينقطع، وقد يقع الدهر على وقت زمان من الأزمنة، وعلى مدة الدنيا كلها، والزمان يقع على الفصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه [٢]. وقد يكون لفظ الزمن مشتقاً في معناه من الأزمنة بمعنى الإقامة، ومنه اشتقت الزمانة لأنها حادثة عنه، يقال: رجل زمِنٌ، وقوم زَمْنَى [٣]. وتعني الإقامة عند بعض الدارسين "المكث والبقاء والبطء جميعاً؛ فكأن الزمن في ألطف دلالته، يحيل على معنى التراخي والتباطؤ؛ أي كأن حركة الحياة تتباطأ دورتها لتصدق عليها دلالة الزمن" [٤]. وهناك من يعرف الزمن تعريفاً إجرائياً فيربطه بمفهوم الحركة، والحركة كما هو معروف، تظهر من خلال السرعة[٥]. ويرى سعيد يقطين أن الزمان عند العرب هو الحال أو اللحظة الحاضرة، وعليه فقد انطلقوا من لحظة التكلم ليبحثوا إعرابياً أو تركيبياً عن بعد الزمن، أي أن الزمن يخضع للإعراب، كما يتم توظيفه لتصحيح عملية الإعراب [٦].

والزمن من حيث التأثير في الأشياء يعد مظهراً نفسياً لا مادياً، ومجرداً لا محسوساً، يتجسد الوعي

به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر، لا من خلال مظهره في حد ذاته، إنه يظهر من خلال الأشياء المجسدة فحسب، فتراه يعايش الأفراد في كل لحظة دون أن يستطيعوا ملامسته، يعايشهم من خلال آثاره سواء في شيب الإنسان أو تجاعيد الوجه أو سقوط الشعر أو تقوس الظهر وخلافه [٧]. ويبدو أن هذه النظرة التشاؤمية لتأثير الزمن في الأشياء المجسدة كانت سائدة في التراث الغربي منذ العصر الإغريقي حتى القرن التاسع عشر، ولكنها أخذت في التغيير؛ إذ بدأت تظهر نظرة أكثر إيجابية إلى مسار الزمن على أنه مسار تصاعدي، وقد يكون لنظريات دارون في التطور و النشوء أثر في استقرار المفهوم التصاعدي للزمن، حيث تتوالى حلقات النشوء والتطور نحو الارتقاء مع مضي الزمن، لا التدهور والانحطاط[٨]. فالزمن إذاً له مغزى خاص بالنسبة للإنسان "لأنه لا ينفصل عن مفهوم الذات، فنحن نعي نمونا العضوي والنفسي في الزمان، وما نسميه بالذات أو الشخص أو الفرد، ولا تحصل خبرته أو معرفته إلا من خلال تتابع اللحظات الزمنية والتغيرات التي تشكل سيرته"[٩].

ومهما كان الحديث عن الزمن في المفهوم اللغوي أو الدلالي، يظل الزمن مرتبطاً بالوقت، فقد اصطلح كثير من علماء النحو العرب على تقسيمه إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل، وأن الحاضر عبارة عن فترة انتقالية تربط بين الماضي والمستقبل [١٠].

أما عن الزمن في الكتابة الروائية، فله دلالاته المتعددة، فإذا كان يعني في الرواية التقليدية (الزمن الماضي)، أصبح في الرواية متعدد المفاهيم، ومنها مدة التلقي أو القراءة، ويرى أصحاب هذه الرؤية أنه لم يعد هناك زمن سوى الحاضر أي زمن الخطاب، ولا وجود لما قبل ذلك وما بعده [١١]. وترى يمنى العيد أن الزمن في الرواية الحديثة أصبح متكسراً يتوزع بين عدة أزمنة، ينتشر ويتداخل وكأنه يرفض توزيع الزمن إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل، مما أثر على أسلوب القص الروائي بحيث أصبحت اللقطة المشهدية سمة من سمات هذا الأسلوب[١٢]. وقد قسم (ميشيل بوتور) الزمن إلى: زمن المغامرة، وزمن الكتابة، وزمن القراءة [١٣]، على أن معرفة زمن الرواية يمكن إدراكه من خلال الشخصيات، من حيث مكوناتها الثقافية ولغتها وملبسها وتقاليدها. أدركت ذلك سيزا قاسم، حين ربطت الزمن بالإنسان، وأشارت أن وعينا للزمن يظهر جلياً كجزء من الخلفية الغامضة للخبرة الإنسانية، أي ضمن نطاق حياة الإنسان التي تعبر عن حصيلة هذه الخبرات [١٤].

لقد غدا عنصر الزمن في الدراسات الروائية الحديثة يؤسس لعلاقات ويربط الشخصيات بعضها ببعض، بل أخذ بعض الروائيين يتقنون اللعب بعنصر الزمن مما أدى إلى التأثير كثيراً في طريقتهم وأسلوبهم في عرض الأحداث واختيار الشخصيات والحيز واللغة، حتى كأن بعض الروايات أصبحت من فنون الزمن [١٥].

الزمن في الرواية الفلسطينية

ليس بوسع أي باحث أو قاص إنكار مدى أهمية الزمن في إبداع الرواية، فهو من العناصر الأساسية في الكتابة، حيث تشكل مراحله محطات ترفد العمل القصصي بأبعاد ذات دلالات واضحة ومؤثرة.

ويكاد يجمع كثير من المحللين والنقاد على أن وعي الإنسان الفلسطيني المبكر لواقعه ولقضيته هو الذي أبرز عنصر الزمن في الأعمال الروائية الفلسطينية. وقد تجسد هذا الوعي بأشكال متفاوتة، ووجد لنفسه مسارات عديدة من خلال مسيرة التجربة الفلسطينية (١٦).

والزمن في الرواية الفلسطينية له مساحاته المختلفة حيث تتوزع أبعاده أفقياً على آفاق مكانية متعددة تعدد المنافي، ومناطق الشتات التي يعايشها الفلسطينيون، كما يتوزع الزمن رأسياً ليغوص في أعماق تاريخ الفلسطينيين ووجدانهم. لقد كابد الشعب الفلسطيني عبر تاريخه عذابات المحتل منذ الدولة العثمانية وما تلاها من الاحتلال الإنجليزي، الذي وطّد الوجود الصهيوني، مما عمق الأزمة، بل جعلها تأخذ أبعاداً مأساوية خاصة، وأن اليهود كانوا وما زالوا يعدون العدة لإفراغ فلسطين من سكانها الأصليين تارة بالعنف (١٧)، وأخرى بأساليب ملتوية تتزيا بقبعة السلام المزعوم.

لقد كان من أثر نكبة ١٩٤٨ وهزيمة الجيوش العربية أن تشتت الفلسطينيون في بقاع الأرض، وتشتت الزمن الفلسطيني عموماً، وزمن الرواية خصوصاً، فقد أصبح الزمن الفلسطيني أكثر من زمن، أزمنة الاغتراب في كل قطر وزمن الاحتلال، وقد تأثرت الرواية الفلسطينية بهذه الأزمنة وأصبحت موزعة على المنافي وفي داخل فلسطين المحتلة (١٨).

إن من يدقق النظر في الرواية الفلسطينية، يدرك أن الزمن في هذه الرواية، ممتلئ بالعنف المفروض من الخارج والرغبة في الحياة بسلام. فالشعب الفلسطيني، ومنذ صدور وعد بلفور بإعطاء وطن قومي لليهود في فلسطين، لم يعش لحظة استقرار واحدة في حياته، وقد طغى زمن الحرب، وما نتج عنه من أزمنة على ما عداه، ومع ذلك فإن الزمن في الرواية الفلسطينية زمن متداخل إلى درجة يصعب معها تقسيمه إلى أزمنة مختلفة، فزمن الحرب. رغم طغيانه على ما عداه يمتزج بالزمن التاريخي وبزمن الاحتلال وبالزمن النفسي وزمن المغامرة وزمن الكتابة (١٩).

أنواع الزمن

إن الناظر لأحوال الفلسطينيين يدهش؛ نظراً للمتناقضات التي اعترت قضيتهم، خاصة بعد اتفاقيات أوسلو التي تضمنت اعترافاً متبادلاً بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. ويؤكد مصطفى عبد الغني أن النص السياسي كان يعوزه كثيراً من اليقين ليقتنع المثقف الفلسطيني أن القضية قد وجدت حلاً عادلاً (٢٠). ومن يمعن النظر في الحالة الفلسطينية يدرك أن الزمن ممتلئ بالأزمات والضغوطات المطروحة من الخارج لإقناع الفلسطينيين بالاتجاه السلمي دون مقابل مجز، هذه الحالة جعلت هذا الإنسان يعيش في عدم استقرار وتشتت في الفكر السياسي والثقافي، لذا فإن من يتأمل الزمن في الرواية الفلسطينية يجده متداخلاً لدرجة يصعب تقسيمه، ورواية حفريات على جدار القلب أو (الانتفاضة الثانية) تعد نمطاً من الروايات الفلسطينية التي لعب فيها الزمن بأجنحته، فاختلط فيها الزمن الواقعي بالزمن النفسي والتاريخي، ولما كانت طبيعة الدراسة تقتضي التحديد اضطر الباحث إلى تقسيم الزمن فيها إلى أنواع هي:

- الزمن الواقعي.
- الزمن النفسي.
- الزمن التاريخي.
- الزمن الكوني.

أولاً: الزمن الواقعي

ليس من شك أن بعض الأعمال الروائية . مهما شطح القاص في سرد أحداثها . تظل بسبيل إلى تحديد حقبة زمنية، يعالجها بأشكال متعددة، تحاكي الواقع أحياناً وتتحداه في أحايين كثيرة.

وإذا كان من النقاد من يعتقد أن زمن المغامرة أو الحكاية، سابق على الكتابة بالمطلق(٢١)، فهناك من يخالف هذا الرأي معتقداً أن زمن الكتابة، هو زمن الحكاية التي لم تنشأ إلا في لحظة الكتابة "أما إذا تناول الكاتب موضوعاً قديماً يسبق زمنه، أو لحظة كتابته، ظاهرياً؛ فذلك ليس حقيقة؛ ذلك أن الزمن، في تصورنا، هو الكتابة نفسها. والكتابة ابنة لحظتها، والحكاية ابنة خيال الكاتب. وإن مجرد إيراد اسم لشخصية تاريخية... لا يستطيع أن يقنعنا بتقدم زمن الأحداث على زمن الكتابة. فهي أحداث (بيضاء)، يجيء بها الروائي إلى عهده، ليلبسها روحه، ولينسجها بلغته، وليخضعها لأيديولوجيته، وليجعلها تعاصره وتزامنه"(٢٢).

وقد جاء عنوان رواية حفريات على جدار القلب أو (الانتفاضة الثانية) للكاتب الفلسطيني حبيب هنا يحمل المحاكاة والنقد في آن واحد ؛ فالمحاكاة تتمثل في مرحلتين بارزتين، تجري فيهما الأحداث ظاهرياً وإجرائياً معاً: الأولى بعد محطة أوسلو، حين ظن بعض الفلسطينيين أنه في استراحة أو استرخاء انصرف فيها الشباب على عواطفهم والناس إلى معايشهم، ثم ما لبث أن انكشف الزيف باندلاع انتفاضة الأقصى (المحطة الثانية) لتظهر الحقيقة المرة، وتتكشف أقنعة الوهم تجاه الحلول المصطنعة، أما النقد فقد جاء يعالج ذلك الزمن وما اعتراه من أحداث، وذلك في لغة تنأى بنفسها عن التأريخ لمجرد أن فيها لعبة زمنية، وليست أحداثها صورة حقيقية بالكلية، فالحقيقة شيء والإبداع الفني شيء آخر. إن الزمن الواقعي هو الزمن البسيط المتدرج من الماضي إلى الحاضر، ثم إلى المستقبل، زمن لا يرتد إلى الوراء، ولا يقفز إلى الأمام، ولكنه يوم بيوم، ينسجم مع حركة الأحداث.

لقد تركزت كثير من أحداث الرواية في حدود زمانية اتخذت من مرحلة الجامعة الحيز الأبرز، فالجامعة شكلت في المجتمع الغزي متنفساً لطلاب العلم، يمارسون فيها نهمهم العلمي والاجتماعي، ويعطون الأجواء المكانية أملاً لصورة الحياة المتجددة عبر زمن القصة من خلال تفاعل الشخصيات مع حيزها الذي تتحرك فيه، وعالمها الاجتماعي المليء بكثير من المتناقضات المعيشة ومنها "أرصفة مزدحمة على الضفتين بالطلاب والطالبات لحظة الخروج من الجامعة ... نهر بشري منبعه بحيرة الجامعات، وفروعه تصب في قلوب الحيارى والمستهترين وطلاب العلم ولو كان في الصين ... المتنزه ممتلئ بالمتسكعين، والسيارات، والأكشاك والباعة المتجولين، والذين ضاقت بهم الدنيا فوجدوا متنفساً يروحون فيه عن أنفسهم بمراقبة الهمسات، والضحك الصاخب، والمواعيد التي تحدد بين كل شخصين ... سيارات تذهب وأخرى تأتي، الخصوصي منها والعمومي، في حالة فوضى توشك أن تعرض حياة البعض للخطر ... شرطي المرور ينتصب بالقرب من الإشارة

الضوئية، لا يكف عن الصفير من شدة حرارة الشمس، يضيق ذرعاً بالسائقين، ويحرر مخالفة سير لهذا، ويترك ذاك في حركة دؤوبة لا يمنعه عن مواصلتها سوى صراخ سيارات الأمن، أو الإسعاف من أجل إخلاء الطريق" (٢٣).

لقد برع القاص في عرض مسرح الحياة من خلال استجلاء وصفها بين حيز الجامعات الغزية. إنها مقدمة ليدخل بنا إلى تصوير شريحة من شخصيات الطلبة: سعدي وطاهر ورباب وميسون و لبنى ومروه، ثم عادل الشخصية المحورية. ونتساءل من خلال معالجة الكاتب: هل عاش هؤلاء الشباب وقتهم؟ هل شعروا بظروفهم؟ هل نسوا شبابهم في ظل الأحداث؟ أم عاشوا الشباب بمنأى عن الأحداث؟ وأخيراً: هل عاشوا وعي الماضي أم وهم المستقبل؟.

أسئلة كثيرة أجابت عنها بعض أحداث الرواية، حين استعد الطلبة جيداً للحملة الانتخابية لاتحاد الطلبة، وما تبعها من دعاية لا تبعد كثيراً عن أية انتخابات عامة، سوى الخصوصية التي تقتضيها طبيعة المكان أو الظروف، "قطع الوعود بعد الفوز بمقاعد المجلس ... شراء بعض الذمم وبيع المنح الدراسية ... عقد الندوات ودعوة بعض الرموز السياسية للمشاركة فيها" (٢٤).

وينتهي زمن الانتخابات بعد أن قامت الدنيا، ويعود الهدوء لأروقة الجامعة، يعتز الفائز بسطوته وجماهيريته، وينزوي المهزوم ليعد العدة لجولة قادمة، دون أن يترك سبيلاً لنقد الفائز والتجريح في مكانته، وقبل ذلك كله التشكيك في نزاهة الانتخابات. تلك الحالة شكلت أنموذجاً لكثير من الانتخابات التي عايشها الوطن ، أقصد (منطقة الحكم الذاتي) قوة سياسية غير قانعة بضعفها، وأخرى مجترئة بقوتها، والكل يرى في نفسه الكمال، وهناك طبقة صامته غير عابئة بما يجري. تلك الأطياف أفرزتها حقبة (أوسلو)، ضعف وعدم انتماء، تمثل لحظة في مقولة والد لبنى الذي أجاب عن سؤال ابنته عن عدم رغبته في العودة إلى الوطن بعد رحلة طويلة إلى ألمانيا، "ما قيمة الوطن، إذا لم يحقق لنا الحد الأدنى من الاحترام والحياة الكريمة" (٢٥).

ومما يلاحظ على الزمن في الأحداث السابقة، أنه يكاد يسير على خط مستقيم ومتصاعد، ويكاد يخلو من تعرجات أو انكسارات حادة، فالأحداث تتابع بالطريقة نفسها التي تتابع بها على أرض الواقع. فهناك تحضير للانتخابات، ثم إجراء عملية الانتخاب في مناخ من التنافس، وما يلحق ذلك من أجواء من التشكيك وتصرف عدد من الشباب، بما يفسر بأنه خروج على القيم والتقاليد.

ذلك المناخ المأزوم بالرؤى السياسية والاجتماعية، لم يحرم طلاب الجامعة وغيرهم من ممارسة العواطف بحديها: العفيف أو انزلاقها الماجن، فقد كان لدى فئة من الشباب رغبة جامحة للسير وسط الشارع، وفي الأماكن العامة، يتعانقون دون خوف مما يقال، الأصابع متشابكة والأنفاس في حالة اشتباك، دون خشية أي رقيب قد ينقل صورة الأمر على غير ما هو عليه (٢٦). بل وصل أمر المجون لدى بعض الشباب المخمور أن يتحرش بالفتيات على الملأ "... كانوا عدداً من الأشخاص الثملين يحاولون مضايقة فتاة بعد أن لعب الخمر

في رؤوسهم، وكان الخوف قد ربط لسانها من الصراخ والاستغاثة" (٢٧)، وتلك حالات. على قلتها في مجتمعنا الفلسطيني. تدل على فترة لا مبالاة تذبذبت فيها القيم، وزادت من حنق الطبقة الصامتة على تردي السمت الأخلاقي لدى بعض الشباب.

وهناك صورة أخرى تعكس التوازن، بعضها مرتبط بالعواطف الحارة والعلاقات المتعددة لوهم الحب الجامعي، الذي تمثل في أكثر من لون، أبرزها حالة بطلنا عادل، الذي قصد قلب ميسون، فتبادلا العواطف، ثم ما لبث أن دخلت حياته لبنى زميلة الطفولة التي أبعدتها الأيام مع والديها في ألمانيا فاكتسبت من تنشئة الغرب الخفة واللامبالاة، وتتركه ميسون لترتبط بزواج آخر فتتبعثر أخبارها بين الأدوات المنزلية من الكنس إلى المسح، ومن الغسيل إلى الطبخ، إلى مشاهدة المسلسلات التلفزيونية وتتكدر حياتها مع الأيام، تتبعها لبنى بعد أن شعرت بتعلق قلب عادل بميسون، وهكذا تدور العواطف تحفر في جدار قلبه وتعصف بشجونه وشئونه.

وبعد أن يفيق من هذه وتلك، ينصرف قلبه إلى (لبنى) أخرى ابنة مخيم الشاطئ، وصاحبة العلم والمكانة الاجتماعية والوجه الحسن، ظاناً أنه قد رسى على سفينة القلب الهادئ، إلا أن القلب الجريح ما لبث أن حفرته دروب حركت شجون الماضي فأصبح تائها بين ميسون ولبنى الأولى، ثم لبنى الثانية، عبر عنها عادل حينما أطرق ساهماً فقال: "اعترف أنني كلما رأيت واحدة تتدثر بالشال بنفس طريقة ميسون عشت معها، وأخذ عقلي يستذكر كل ما دار بيننا حتى أدق التفاصيل... وكلما سمعت واحدة تتحدث بعفوية، وتمرح ببراءة طفولية يحدوني الأمل برؤية لبنى مرة ثانية" (٢٨).

كلمات قالها عادل للبنى الثانية تدل على قلب تائه وعواطف متبدلة، تحاكي ذلك الزمن الذي لعبت به ظروف الأحداث في ظل استكانة تقلبت فيها عواطف الشباب وآهات الشيب، إلا أن تلك الاستكانة كانت محطة تنتظر الانفضاض، فمدينة غزة تنام على صخب البحر وأفواج الغزاة الذين تكسرت رماحهم وسيوفهم وأمواجهم على حواف رمالها الصفراء، يلعقون جراحهم والهزيمة ثم يرحلون (٢٩).

دخلت إذن أحداث انتفاضة الأقصى ، وقد بدأت في أجواء مصحوبة بالإحباط والترقب والصدمة، فبعد أن زاد الحديث عن الفساد المستشري والمؤسسات المهترئة، والانتماء المهتز، كان هناك حافز للهروب من الواقع للدخول إلى مواقع أخرى لا تخلو من مرارة، ولكن المرارة الثانية كانت لهدف أسمى تعيد التوازن لما أفقدته حالة التردي، عبر عنها القاص في جمل وصفية، أصبحت مع الأيام نهج حياة لما آلت إليه الأحداث في الوطن المحتل: "وفجأة، قوضت تباشير الفجر المنبعث حبال الليل الطويل... زرع الأمل في النفوس بعد أن تراءى الليل أطول من حبال مطر شباط الذي يمتد بلا صباح على طريق يخلو من الناس، ولا يتسع إلا للعسكر، وبعض الدبابات التي ترابط حتى تقطع الطريق، وتسلب الناس الدم، والتنفس والحياة، وضاعت الأصوات المتداخلة ابتلعت محركات الطائرات، وقذائفها الكلمات والحروف والذكريات وتاهت الوجوه والأسماء والمعاني في خضم صراخ سيارات الإسعاف، وأزيز الرصاص الذي لا يميز بين مرور طفل مسالم، ورجل يقاوم الاحتلال... دارت معارك حامية غير متكافئة بين الحجارة والمجنزرات في ضباب كثيف كالبياض عار تماماً من السواتر،

والأشجار التي كانت تحيط بالمكان، اشتد الأزيز، وصوت الانفجارات، وأصبحت الساحة مشتعلة كوجه غض لفتاة ألهبت الشمس خديها، وكانت أضواء الإسعاف الشيء الوحيد المميز في هذا الغبار الذي فاحت منه رائحة الجريمة، والأوامر الصارمة: اقتلوا أي شيء يتحرك" (٣٠).

إنها لوحة فنية تسجلها عدسات الصحفيين يومياً وقد امتلأت بالتفاصيل وبمختلف اللغات، وفيها من التنوع والشمولية والتباين والتمايز ما هو أبلغ من أي وصف، لقد غدت هذه العدسات عيناً ناقدة على العصر، تشهد على أزقة المدن التي تم تسوية بعض بيوتها بالأرض، وناسها الذين أصبحوا معاقين بعد أن حالت الأقدار بينهم وبين الظفر بالشهادة، لقد اقتلع الزيتون من الأرض فأضاء الجنة، ونزع البرتقال وتهاوى النخيل؛ ليعيد ذلك المشهد على صلف العدو الذي فقد الأهلية؛ لأنه فقد مسوغات العقل الإنساني وأصبح الشجر والحجر والإنسان ممنوعات يجب على الفلسطيني ألا يهنأ بها. وانتصب السؤال الكبير في وجه المفاوضين الذين ما فتئ بعضهم يساوي بين الإرهاب والمقاومة، ولكن يظل السؤال المحير في هذا الزمن الحقيقي: متى كان العدو يفهم لغة الحوار؟ (٣١).

ويبدو أن السارد هنا يحاكي واقعاً قد يرفضه العقل السوي، ولكن في الحالة الفلسطينية كل شيء جائز لفترة عنوانها (غطرسة بني صهيون)، كل شيء مبرر ما دام الأمر يعطي وقتاً أكثر لتمرد هذا الكيان، كي يفتك ويفجر ويطحن كل ما في طريقة.

ومن جهة أخرى صاحب زمن الانتفاضة الثانية لغة لم تكن مفهومة إلا لفئة ابتعدت عن واقعها، وبدأ تصارع القوة السياسية لكسب الجماهير، الأكثر صدقاً وعطاء وحرصاً على مصالحها تلتف حوله، "فعلى ضوء هذه الانتماءات أصبحت الأولوية للعمل السياسي على حساب الشعارات السابقة، وهذا لا يلغي الأخير بل يعطل فعلها بشكل مؤقت، ثم يسيرا جنباً إلى جنب، ثم في مرحلة لاحقة متقدمة، يتقدم عليها وتكون له الأولوية" (٣٢).

تلك الأفكار عرضها عادل في محاضراته الجامعية بعد أن أصبح معيداً، يريد أن يخرج من أزمته العاطفية إلى فاعل اجتماعي يرى أن دوره الأكاديمي ينبغي أن يتوازى مع دور الطفل الذي تقدم فحمّل وهيج الرصاصة صورة الشهادة، . قذف الحجر، تحسس جسده المثقوب، وكان يقترب من الحاجز أكثر فأكثر، ينادي الناظرين، يستحثهم على أخذ الحجر من يده ووضعه في مفردات اللغة، ومصطلحات السياسيين، ليسجله ضمن اكتشافاتهم الجديدة ووسمه بالعلامة الوطنية الخاصة بأطفال فلسطين.

ويبدو أن تفكير الشباب في انتفاضة الأقصى يتحول إلى نهج إيجابي، إذ تقدم الجميع نحو هدف واضح يتصدون به للهجمة الشرسة لقوات العدو التي استحالت إلى كلاب مسعورة تنهش البشر على الحواجز، يأخذون الأرواح ويكتمون الأنفاس، وتكرر مشهد الدبابات والجرافات وهي تقتلع الأخضر واليابس وتحوم الطائرات لتقصف الآمنين (٣٣)، وفي مشهد مقابل ينحصر الأداء السلطوي والمؤسسات الشعبية في

آفاق ضيقة لا ترادف التضحيات الميدانية حيث كان العديد من العائلات التي قست عليها الظروف ومنعتها عزة النفس من التسول من المؤسسات الخيرية المختلفة، يحاولون عبثاً التحايل على أوضاعهم المعيشية حتى لا تخرج من صدورهم آهة ألم يسمعها المقربون، ولكن لم تكن المؤسسات الرسمية وشبة الرسمية، والخاصة مستعدة للنزول إلى الشارع لتتحسس احتياجات الناس، كأن لعبة التذلل أمامهم متعة تروق لهم ويفضلونها عن سواها في هذه الأجواء العاصفة بكل الاحتمالات المنبعثة بتشفي اللئام من الكرام (٣٤).

تلك الأجواء المختلطة ألهبت الشباب المتحمس للطلب من عادل الأستاذ الشاب، إدخال مادة إضافية في التدريس تتحدث عن الانتماء وتكريم الشهداء، فوعدهم مقتنعاً أن لكل دوره في تلك المرحلة، فدفع الشباب وتعبئتهم يعد مشاركة تحظى بالمباركة لأنها الوقود الذي يعبئ الهمم، لقد بدأ شباب الانتفاضة الثانية يأخذون الأمر بأنفسهم، حتى يقيض لهم الزمن من يسوس أمرهم بفكر مستنير وعزيمة صلبه تحقق آمالهم وتخفف من آلامهم. ويلحظ القارئ أن الزمن . كما يتضح في كثير من الأحداث التي عرضنا لها فيما سبق . بسيط جداً، وهو من مستوى الزمن المتدرج من الماضي إلى الحاضر ثم إلى المستقبل، وهو زمن أقرب إلى محاكاة الواقع منسجماً مع حركة الأحداث التي تتركب هي الأخرى تركيباً بسيطاً، لا يخلو في بعض الأحيان من تمثل لظروف الواقع المعيش.

ثانياً: الزمن النفسي

يتعلق الزمن النفسي داخل الرواية بشخصيات العمل الروائي، وهو زمن ذاتي، أي ينظر له وفق رؤية الذات، التي تعمد إلى تحويل الزمن الطويل إلى قصير في لحظات السعادة وفترات الانتصار (٣٥). وفي الزمن النفسي لا ينتظم الحدث حسب وقوعه تاريخياً أو زمنياً، بل حسب الإحساس به؛ فالقارئ يدخل عقل الشخصية الروائية، ويبدأ بملاحظة صراع الشخصية مع مشكلة أو موقف ما، ومن هنا يتيح الزمن النفسي للكاتب أن يصور انفعالات الشخوص وعواطفهم ومواقفهم، كما يمكن أن تحدث في الحياة اليومية كمجموعة أحداث متفرقة ومشتتة وغير مترابطة(٣٦). ويرى روجرب. هينكل أن الإحساس بالزمن وفق المنظور السابق يكون أقل فاعلية، لأن المادة الروائية لا تتشكل في ضوء التعاقب الزمني، بل في ضوء اللحظات التي تحمل دلالة خاصة في حياة الشخصية من الوجهة النفسية (٣٧). أو وفق المعيار الداخلي السيكولوجي الذي يقدر فيه الزمن بالقيم الفردية الخاصة، دون الموازين الموضوعية، أي (الزمن الإدراكي الحسي) perceptual time، كما سماه بيرسن (pearson) (٣٨). وقد ميز غاستون باشلار بين زمن الأنا (النفسي) وزمن العالم، "فتارة يبدو زمن الأنا يمشي بسرعة أكبر من سرعة زمن العالم، الأمر الذي يجعلنا نشعر بأن الزمن يمر بسرعة، وأن الحياة تضحك لنا، وأننا نشعر بالغبطة، وتارة تنعكس الآية، فيبدو زمن الأنا متأخراً عن زمن العالم"(٣٩).

ويذهب(برجسون) إلى أن للزمن فيضاً وأننا عاجزون عن قياس التجربة الذاتية وتفسير لحظات من الوعي عن طريق ذكريات يصعب تفسيرها، ولذا فإن الزمان لديه هو خليط عجيب من حركة دائمة، وسيولة ليس لها مدى، ولا يمكن تحديده بلحظات منفصلة فهو زمن لا عمل لعقارب الساعة فيه، إنه الزمن النفسي الذي يسبح فيه الإنسان من خلال جريان الزمن في البواعث اللامعقولة الجارية عبر الزمان وهي

البواعث التي تتكون منها الحياة، ويصبح الإنسان في داخل الشيء نفسه عن طريق البصيرة أو الحدث، وبهذا فإن للزمن بعداً نفسياً يتركز في الحاضر. وقد راقت هذه النظرية الأدباء حين رأوها تشير إلى طبيعة التجربة الإنسانية ومن ثم أصبحت القصة خليطاً من الماضي والحاضر لا يستطيع أن يعكسه إلى الفن وحده، إذ إنه هو وحده الذي في وسعه تجميد الزمان في اللحظة الحاضرة، موقفاً جريانه، ليحتويه ماضياً وحاضراً في إطار متماسك(٤٠).

وليس بالإمكان عند تحليلنا لأي من الروايات أن نقول زمن هذه الرواية نفسي، وذلك غير نفسي، وإنما نمط الأحداث داخل الروايات وما يحدثه في أعماق الشخصية من شأنه إيضاح الأفكار الخاصة التي تبرز ذاك النمط من الزمن. وقد يلجأ الكاتب إلى أوصاف تترجم ما ترسمه الصورة الأدبية وتشرحه في الحالة الخاصة والوضع الفني، ويحيله إلى لغة مجردة تكشف عن نواحي الزمن النوعية في الخبرة الإنسانية، تلك النواحي لا تجد لها مكاناً في بناء نظام الزمن البديهي في الطبيعة(٤١).

ويمكن ملاحظة الزمن النفسي، في بعض الروايات الفلسطينية من خلال ما تلونت به نفسية الإنسان الفلسطيني سواء أكان كاتباً أم شخصية من شخوص العمل الروائي. إن الأحداث التي تتقاطر على هذا الشعب حبلى بالمواقف النفسية التي تحفل بالصراع بين بعض الشخصيات ذات الاتجاهات الفكرية المختلفة. وقد تتضمن حالات مثل شخصية بارزة في الرواية وارتباط أفعال هذه الشخصية بأحداث ما ذات أبعاد سيكولوجية بعينها، ففي إحدى حوارات الانتفاضة الثانية في روايتنا يسأل أحدهم الجالسين ليفتح مجالاً للحديث الذي لا ينتهي، فيقول: "أنتم تعرفون أيها الزملاء أنه تمر فترة في حياة كل جيل، على الأقل، يسأل فيها نفسه بعد أن يزداد القمع الذي يتعرض له: إلى متى سنبقى صامتين على هذا؟ ومتى ينطق بهذه العبارة يكون صادقاً ومستعداً لتقديم أغلى ما يملك من أجل ألا تخرج من أعماقه زفرة عميقة أو تقتله الحسرة ... على مدار مائه العام الماضية كان يدور الحديث نفسه بين الأجيال المتعاقبة وإن كان بأساليب مختلفة، وعادة هذا الحديث يدور بين أجيال ثلاثة في نفس المرحلة: جيل الشباب وفيه ينصبون باللائمة على الذين سبقوهم ولم يفعلوا شيئاً، وجيل الآباء الذين فتك بهم الجوع ولم يستطيعوا تغيير شيء متذرعين بشتى الذرائع ثم يبدأون بذكر الأسباب، وجيل الأجداد الذين يحاولون إطفاء النار قبل أن يشتد لهيبها في الوقت الذي ينظرون فيه مرة إلى قيودهم ومائة مرة إلى الذين تسببوا في إدامتها..." (٤٢).

نلاحظ هنا أن عودة المكبوت للنفس بدأ يطفو على السطح بعد أن ضاقت به النفس ذرعاً، فالكل مهموم؛ لأن في الحديث نبش مخزون الأجيال السابقة ما من شأنه أن يجعل الصامتين يسترجعون الكلمات والأفكار، بل من شأن ذلك الحديث أن يوحي إلى النفس بجملة من الأفكار المتعاقبة الأمر الذي جعل (عادل) الشخصية المحورية في القصة يناجي سره "لقد نصب شعبي حبال مشنقته بيديه في لحظتين: الأولى عندما انصاع لمشيئة غيره، واستسلم أمام إرادته، والثانية عندما خنق في أعماقه كل أمل للتجديد والنجاة!"(٤٣).

ويبدو البعد النفسي جلياً في حديث الأخ الأكبر للبنى الثانية حينما قطع حديث الآخرين حول الأوضاع التي آلت إليها أحوال الناس وجدلية العمليات الاستشهادية التي نعتها بعضهم بالانتحار، يقول: "ماذا ينتظرون من شعب يتعرض للمجازر يومياً ويعيش حتى الآن؟ لابد أن يكون عمره قد تجاوز المفترض من الحياة فأصبح يعيش عمراً إضافياً، أي أنه يمكن اعتباره شهيداً منذ زمن، وما ينطبق على باقي شعوب الأرض لا ينطبق عليه، وبالتالي لا يضيره الاستشهاد في كل لحظة" (٤٤).

قد تبدو لغة الصحافة في نقل أحداث الحياة معياراً للواقع تنقله ولا تلونه في المراحل الأولى للحدث، أما في الحالة الفلسطينية، فقد وقف بعض الصحفيين عند خطوط التماس يرسمون لوحات فنية متعددة مليئة بالتفاصيل، والثراء المدهش، وبمختلف اللغات، فيها من التنوع، والغنى، والشمولية، والتباين في الحضارات، والتمايز بين الثقافات ما هو أبلغ من أي وصف مهما كان الفنان ضليعاً في التعامل مع هذه الأشكال، لاسيما وأن هذه اللوحات تشكل شاهد عصر على المدن التي تم تسوية بعض بيوتها بالأرض، وناسها الذين أصبحوا معاقين بعد أن حالت الأقدار بينهم وبين الظفر بالحسنى الأولى، وحجارتها التي عانت طير أبابيل لكثرة استخدامها، ومن زيتونها الذي اقتلع من الأرض فأضاء الجنة، وبرتقالها الذي أحرق دون ذنب سوى قدرته على حماية الأطفال، ومقاومة مختلف أنواع الأمراض (٤٥). لقد فقدت في - المنظور الفلسطيني - لغة التفاهم قوتها على الإقناع، وأصبح الحجر والطائرة سيدي الموقف، عادت الأمور إلى بداياتها الأولى وانتصب سؤال الماضي في وجه الحاضر، هل يفهم هذا العدو البعد الإنساني كي نعود إلى محاورته؟

وقد تعود اللحظات الصعبة إلى تجليات نفسية، تقهر رتابة الزمن، فنرى ذلك في لحظات الرثاء أو في محافل التأبين التي تختلط فيها المشاعر، لاحظنا ذلك في تهدج صوت الأستاذ غالي الذي استشهد ابنه في اليوم السابق وقد بدا متحاملاً على نفسه يقبل التعازي، ويبدي رباطة الجأش ونفسه تموج بالذكريات، وقد فاجأه صحفي بفضول زائد: "لا أفهم عليك... كيف أرسلته إلى نهايته المحتومة ؟! ليلة أمس تحدثت مع زوجتي والأولاد عن الخيارات البديلة ، ولم نصل إلى نتيجة نعول عليها ... أخذ الأمر بزمام يده وقرر خياره... وضع حداً نهائياً للأقوال وزرع نبتة الفعل في واحة ضمائرنا... لقد رأيت ليلة أمس عينيه تتفجران نوراً عندما سألنا عن المسافة بين الرصاصة والرصاصة!... كانت حواسه تتلظى ... خلع عمره قبل قدوم المهزلة، مثلما خلع الشيخ الوقور حذاءه قبل أن تطأ قدماه أرض المسجد" (٤٦)، تلك المشاهد التي أدمت الأجساد جعلت الفلسطيني يعيش في حالة انتظار، والانتظار في ذاته عامل نفسي يوحي بأهلية الموقف سواء انتظار شخصية لها قيمة وأهمية في الرواية أم انتظار حدث معين يؤدي إلى نتائج مؤثرة. إن الانتظار يصنع المفاجأة والارتقاب، إنه يحدث فينا الفراغ، ويعد العدة لاستئناف الوجود، فيساعد على اكتناه القدر، وقد يهيئ الأطر الزمنية لاستقبال الذكريات، وعندما يقع الحدث المرتقب إنما يتراءى لنا في شكل جديد، وليس بالضرورة أن يحاكي ما كان متوقعاً (٤٧). تلك الرؤية قد يثقلها شعور في حركة الزمن تصبح الدقائق ثقيلة ضاغطة على الإحساس تتحول فيه إلى زمن بطيء الحركة وكأنها، أيام طويلة وذلك بسبب انعدام الأمن لدى الأفراد؛ لأنهم يعيشون لحظات خوف وقلق. بيد أن ذلك الخوف قد يشكل حافزاً للانتصار قد تبدى في الرواية عبر شخصية البطل المحورية الذي استجمع قوته في النهاية ليزرع نبتة الفعل في ساحة الصراع فيواجه الأمر بشجاعة،

جاعلاً من نفسه جسراً للغد القادم. ولعل ذلك يدخل في النفوس مادة إضافية تحصنها من النكوص، وتعطيها الأمل لتتنسم عبير الغد، فلا بد أن ينبت شجر الأمل لينكسر الصمت أمام صخب الحاضر، ويصل الليل إلى حافة الفجر، ويحيل الصباح اليوم الماضي إلى غد أفضل.

ثالثاً: الزمن التاريخي

الزمن التاريخي هو الزمن الذي تقع فيه الأحداث، وقد يلجأ الكاتب إلى تنظيم الحدث والحبكة أولاً بأول كحدث تاريخي يبدأ من نقطة زمنية ثابتة وينتهي في نقطة زمنية معينة أخرى. وترتبط الأحداث في الرواية بمنطق السبب والمسبب أو العلة والمعلول، حيث يؤدي كل حدث إلى حدث آخر، وتوالي الأحداث زمنياً يؤدي إلى العرض، والحدث الصاعد، ثم الحدث النازل، وأخيراً الحل أو الخاتمة (٤٨).

وكثيراً ما يرتبط الزمن التاريخي بأحداث تقع لها امتداداتها، فهو يتجه إلى الأيام يمثل خطاً أفقياً تنطلق من خلاله الشخصيات في اتجاه واحد لا رجعة فيه، فالزمن يسير نحو المستقبل مؤكداً حتمية مصير البشرية (٤٩).

والزمن التاريخي يربط بين التخيل والواقع، فعقولنا تحتوي على شرائط الذاكرة المختزنة لكل شيء رأيناه أو شعرنا به، وهذه الأشرطة يمكن أن تدار مرة أخرى بحفز الذاكرة الزمنية في العقل (٥٠). وإن العمل الروائي مهما كان يناغم الواقع يظل يمتح من المخزون المتخيل "وهو بهذا المعنى كل مخزون الذاكرة التاريخية واللحظوية، الذاكرة لا بمعنى التذكر، بل كمستوى للمتخيل، وكعالم لهذا المتخيل ينزاح في اتجاه استقلاليته، ويملك في هذه الاستقلالية قدرة على المراكمة والتداخل...والذاكرة التي هي ذاكرة الفرد، هي ذاكرة الواقع المادي الاجتماعي فيه، إنها نهوض هذا الواقع إلى مستوى عالمه في الذاكرة، إنها تخيله ومتخيله، ولهذا المتخيل زمن تكونه وللكتابة زمنها المختلف، وبين الزمنيين تستمر علاقة الفرد بالواقع المادي من حيث هو حضور فيه، في نظام لعلاقات فيه، أي في ما يحدد له موقعاً يحكمه ويتجاوزه كفرد" (٥١). إن كثيرا من الانطباعات التي تعم الذاكرة والارتباطات المشوشة في ظاهرها هي ينبوع النشاط الخلاق داخل نفس الإنسان، قد تكون غاية المبدع تركيب سلسلة الانطباعات بكاملها في وحدة متناسقة ومتماسكة، هذا التركيب الموحد لحياة هو يجري إظهاره من خلال استمرار ووحدة الأثر الأدبي المبني على تركيب جامع بين الذاكرة والمتخيلة (٥٢).

من الباحثين من يرى أن الأزمنة الغابرة قد تفقد تدريجياً قدمها عند شخوص الرواية لتصبح جزءاً من حاضرهم، لأن ما حدث البارحة يتماهى بصورة أو بأخرى في أحداث حاضره. والرجال الذين كانوا يسيرون في تلك الأزمنة أصبحوا يسيرون فعلاً ويستنشقون الهواء ويلقون ظلالهم على الأرض التي لم يدخلوها، بل وأكثر من ذلك، فقد بدا كأن بعض ما حدث لم يحدث بعد، وإنما سيحدث غداً، حتى ليتصور القاص أن حدثاً ما أو شخصاً ما لم يأت إلى الوجود بعد (٥٣).

وفي رواياتنا الفلسطينية تتداعى التواريخ بأحداثها، لتقلب آلامنا المتتالية فما انفك القاص يؤكد هذه الغاية خلال أسلوب الاسترجاع الذهني، فعلى هامش العزاءات في انتفاضة الأقصى . وما أكثرها . تزخر الأحاديث بقصص لا يخلو كثير منها من بدع الخيال، غير أن وراء الأهم منها تختبئ الحقيقة التي لا تكاد تصدق، تكمن التفاصيل بين طبقات صوت المتحدث الذي يلفت انتباه المستمعين، وعندما يطفو على السطح يلهب الذاكرة ويعود بنا إلى الماضي، نشعر أن التاريخ مزور باعتبار الأقوياء الذي يقدرون على تكاليف النفقة، هم الذي يسجلونه بالطريق والشكل اللذين يرونهما مناسبين، في حين أن الذي يصنعونه تصبح أسماؤهم مستعارة قد يختلف البعض حولها (٥٤).

إنه أمام صورة الواقع التي تشي بالفقد والحرمان، فتصف واقعاً مراً يحذر فيه من الضياع في مرحلة تقزمت فيه أحوالنا وطموحاتنا، بعد أن تكالبت الأمم علينا تستكثر ما نقدمه من تضحيات، "تلك الأفكار تجعل القارئ يحاول الارتداد للماضي يخفف به من وطأة الحاضر المزري عله ينقل لذاته ما تفقده الشخصيات في أذهانها من إحساس بالألفة التي هي أحد العناصر التي تعطي فكرة مضي الزمن قيمة، إنه يتحدث عن مخيمات اللجوء بمخيلة النكبة، يعاملها بصورة الواقع، ويربط بين هذه وتلك بمرحلة المفاوضات مع المحتل، ليعلن تخوفه من ضياع ما تبقى للأبد ويحذر من الأماني يقول: "ومع تصاعد وتيرة الانتفاضة وأخذها أشكالاً أكثر نفعاً وجدوى، ومع الاستمرار اللا محدود للدفاع عن غرسة زيتون، فاجأتنا الأخبار بعقد اجتماعات سرية مع رجالات المحتل، قتلت فينا كل أمل في الحرية والاستقلال وتحقيق الشعارات المرفوعة، وأصبنا بالخيبة وفقدان الثقة بجدوى التضحيات التي باتت عرضة للتجاوز والقفز عنها" (٥٥). وكثيراً ما تتحطم عناصر الزمان والمكان حال غياب منطقية الأحداث (٥٦)، فقد ينحرف الغد عن مساره، ويسند ظهره إلى التاريخ، وتلمس هناك رياح التغيير الذي يصبح ملكاً للجميع، وجغرافيا الحدث تفلت من أنياب أصحاب القرار الرسميين، "ودخل أزقة الفقراء والعيون مفتوحة على الحرية... لم يعد هناك ما يخيف تحريك مياه البركة الراكدة، فأمواج البحر تتلاحق تباعاً" (٥٧).

إن الترتيب الزمني في رواية الانتفاضة الثانية ظل متقارباً، فكان الماضي القريب والحاضر يختلطان في ذهن عادل لينبثق في النهاية موقف حاسم ينطوي على التصميم للخروج من دائرة الحصار . حصار العاطفة في البداية و حصار القضية فيما بعد . نحو مستقبل يصيغه بإرادته، وإن لم تظهر ملامح هذا المستقبل بوضوح، قالها كلمات وهو يعتصر ألماً في نهاية القصة. بعد أن حزم أمره وقرر:
"أيتها الحبيبة لبنى ... لا بد من مواجهة الأمر بشجاعة؛ لقد قررت التوجه نحو أقرب خط تماس حيث يتواجد الأطفال كي يصنعوا من أعمارهم سيقاناً تحمل رجولتنا إلى المكان الذي ينبغي أن نكون فيه... حافظي على قلبك من اليباس حتى أعود إليك... وأنا، سأحافظ على قلبي من اقتحام أية فتاة، ولكن لا أضمن عدم وصول الرصاص إليه" (٥٨).

وقد ينطلق الزمن التاريخي في روايتنا من تتابع الأحداث وتراتبها على نحو متوالٍ، بحيث تتعاقب مكونات المادة السردية جزءاً بعد آخر دونما ارتداد أو التواء في الزمان، ولهذا عَد هذا النسق من الخطابات

السردية من أبسط أشكال النثر. ومما يعطي هذا النظام ميزته بين نظم الصوغ الأخرى، استهلاله الذي يعمل على تأطير المادة الحكائية. ولعل شيوع هذا النوع من الزمن يعود إلى تأثير فن الخبر التاريخي في الفن الروائي، فمن أخص خواص الخبر تأكيده على نقل الواقعة الإخبارية نقلاً متتابعاً دون إجراء أية انحرافات تخلخل بنية متنها. (٥٩) ولعل مسيرة الأحداث التي عايشناها في الرواية تؤكد المنطقية في تسلسلها بدءاً من محطة أوسلو التي ألهت بعض الناس، وما اعتراها من أحلام السلام والأمن المزعومين، إلى أن سقطت ورقة التوت تحت أقدام الحقيقة وداستها النعال، عندئذ صعدت منها رائحة الوهم الذي لف الجميع بأخيلته كلما تقدم الليل وتلاشت الظلال (٦٠).

رابعاً: الزمن الكوني

وفيه يستخدم السارد ألفاظاً تشير إلى الفصول والشهور والأيام(٦١) ، وتكون الإشارة بشكل مباشر أو غير مباشر، فقد يتطرق إلى الفصول بأسمائها (صيف، شتاء، ربيع، خريف)، أو يشير إلى حالة طقس لتدلل على وقت بعينه، مثل الربيع وما يزينه من تفتح الأزهار والخضرة وعبق الورود وصفاء الطبيعة وجمالها، أو الخريف وما يصحبه من تساقط أوراق الشجر والرياح والأغصان العارية.

وقد حمل زمن أوسلو وما تلاه من انتفاضة الأقصى أحداثاً جساماً حركت النفوس، وشكلت بحلوها ومرها محطات ارتبطت بالفصول والأيام والساعات. ففي زمن التفاؤل وبعد أن ظن الفلسطيني بقرب انتهاء الصراع، يستحضر عادل ذاكرته عندما كان طالباً في نهاية الصيف وبداية الخريف (مطلع العام الدراسي) كيف تدب في الأسواق الحركة... الطلاب حتى الصف الثاني عشر، يشترون الملابس الجديدة والقرطاسية استعداداً للعام الدراسي الجديد، في حين طلاب الجامعات لا يفوتون فرصة المشاركة في الأنشطة المجتمعية التي يصعب الانخراط فيها عندما تنتظم الجامعة، في الوقت الذي تنظر فيه المؤسسات العامة والأهلية إلى طلاب الجامعات باعتبارهم الجيل الذي يأخذ على عاتقه إحداث التغيير المجتمعي وعلى كافة الصعد.

وفي موقف عصفت الأحداث بنفس عادل بعد أن تفرق عنه الأحباب إلا من بعض الأصدقاء المخلصين يصور الراوي حالة القنوط التي امتلكته في غمرة من العواطف المختلطة... "كان الأفق قد تحمل على سعته غروب الشمس بلونها الدامي دون أن تتخضب يداه بأشعة (أكس)، على الرغم من الظلال التي توحي بانكسار كل ما يحيط بالكون، واستحالته إلى هشيم، في كل لحظة قابل للاشتعال والفناء" (٦٢)، لقد استحالت نفسه إلى شيخ أنهكته تجاعيد الشيب وهو جالس على الرصيف يرقب المارة، ولما وصلته عيون الحيارى حدّث نجواه: لم أر نظرة منطفئة مثل هذه النظرة التي ترقد في عيني صاحبها دون حراك إنها فقدت مبرر تلقي الانعكاس الذي لا جدوى منه في أعقاب تكرار المشهد نفسه. إنه يحيل بواعث الكون لتشكل مع نفسه معادلاً موضوعياً تتحرك الشمس والظلال وحتى الأوهام بمستوياتها المختلفة في بعث همومه وتصوير أحواله، وحين دارت عجلة الانتفاضة، وأخذت الأحداث تطحن كل تفكير بدت المرارة هذه المرة "أيلولية الشكل، احتلالية الطعم، دموية اللون، عبثية التوجه" (٦٣)، لقد استحالت نفسه إلى صحراء مترامية الأطراف وراء بحيرة ماء الوصول إليها من أجل ري الظمأ يكلف الحياة نفسها، هذه الحالة وضعت الفلسطيني أمام لحظات مرة تحنق أحياناً

وتعطي الأمل أحايين أخرى لتجديد النفس والنجاة من الطوق.

لكن ملامح الأمل تطل مرة بعد مرة من بين الأنقاض، "وفجأة قوضت تباشير الفجر المنبعث حبال الليل الطويل... زرع الأمل في النفوس بعد أن تراءى الليل أطول من حبال مطر شباط الذي يمتد بلا صباح على طريق يخلو من الناس، ولا يتسع إلا للعسكر، وبعض الدبابات التي ترابط حتى تقطع الطرق، وتسلب الناس الدم، والتنفس، والحياة..." (٦٤). لعلك تلاحظ الزمن الكوني في كلمات (أيلولية، الفجر، الليل، شباط، صباح...) بما تشكل هذه الكلمات من إيماءات تربطها بأحوال الناس ومعاناتهم.

لعل اللافت فيما تقدم زيادة الخطاب في معالجة تداعي الأزمنة، أو في استرجاع قصص الماضي وحكاياته، مما ترتب عليه قلة الحوار، واعتماد القاص على عباءة الراوي الذي تصدى لمادة السرد على مدى صفحات طويلة من الرواية،جاعلاً من شخصيته المحورية (عادل) لساناً يحاكي به الواقع ليعبر عن ثقافه الخاصة التي بلور فلسفتها فيما عرضه من أحداث.

علاقات الزمن:

تتضافر عدة عناصر لتشكيل الإطار الفني للرواية، منها الشخصيات والمكان والزمان والحدث والحبكة وغيرها. وتتداخل تلك العناصر معاً لتشكل علاقات بنائية تتحد وتتعدد لتنتج في النهاية نسيجاً فنياً متكاملاً.

وما دمنا في طور الحديث عن علاقات الزمن يمكن القول إن جداول الزمن المتتابعة من ذاكرة السارد قد تتشابك "مع نتف من الأحداث الصغيرة الجاهزة التي تشتمل عليها حكاياته المسترجعة في حدود حيزها المكاني المحدد بتفصيلاته ومظاهره المتفاوتة في الحضور والغياب، لتركز على صورة الحياة المحددة عبر زمن القصة من خلال تفاعل الشخصية مع حيزها الذي تتحرك فيه وعالمها الاجتماعي الذي تنتمي إليه، لتقدم لنا صورة زمانية عن عالم القصة" (٦٥).

ومن المعروف أن الزمن يرتبط ارتباطاً عضوياً بالبيئة المكانية وحركة الشخوص في جدلية لا تنفصل، فالعلاقة قائمة بين الأديب والمكان والزمان ضمن خصوصية استعادة المكان أو الزمان للذكريات التي تحركها الشخصيات في تكوينها الروحي أو العقلي بما يوفر عناصر الإمتاع الفني للرواية .أما عن علاقة الزمان بالمكان فهي أساسيه ووطيدة؛ فالزمان هو البعد الرابع للمكان، كما أن المكان يلون الزمان بلونه، إلا أن الإنسان هو الذي يعطي القيمة الحقيقية لهذين العنصرين (٦٦).

لقد شكلت التأثيرات المكانية حيزاً لا يستطيع الزمان الفكاك من قبضتها، فهو بمثابة الحركة التي تحيي المكان، والتي تمنح عقدة العمل الأدبي ثراءها ودلالتها (٦٧) وقد تبدو علاقة الزمان بالمكان أكثر وضوحاً من خلال حركة شخوص الرواية، ومدى إحداثهم تغييرات تعد جسراً لتوضيح تلك العلاقة، حيث لا

يؤدي المكان والزمان دورهما إلا بوجود الإنسان حتى تتوافر الحركة فيهما، فإن الحركة بالتالي لا يمكن لها أن تتحرك إلا بوجود مكان تدور فيه، وزمان ينتظمها، ويعد لها ويحسب لها ويضبطها ويكون لها بمثابة ضابط الإيقاع.

وإذا كان هناك علاقة قوية بين المكان والحركة من جهة وبين الزمان والحركة من جهة أخرى، فإن هناك علاقة قوية بين المكان والزمان، فالمكان لا يَمكُنُ إلا بالزمان، والزمان لا يزمن إلا بالمكان، بمعنى أن المكان الذي لا يزمن لا يعد مكاناً، والزمان الذي يمكُن لا يعد زماناً، والمكان يكتسب كينونته من الزمان الذي يدب فيه الحركة والزمان يكتسب زمنيته من المكان والحركة، التي هي في داخله، وهكذا نرى أن علاقة الزمان المكانية، وعلاقة المكان الزمانية، علاقة جدلية مستمرة (٦٨). ويمكن القول إن حركة الزمن بعد أوسلو قد جعلت من بعض الأمكنة سبيلاً للحديث عن الحياة في الجامعة أو السوق أو أماكن الترفيه أو غير ذلك. وعادة ما يصحب رتابة تلك الحياة انصراف للعواطف والمعايش، بصرف النظر عن الموقف السياسي وما ينتج عنه من ظروف، عبرّ عن ذلك راوي القصة حين وصف شاطئ غزة بخصره الضيق ولونه الخمري (٦٩) ومع ذلك فهو المتنفس الوحيد لأكثر من مليون من البشر في غزة، ذلك الشاطئ تحول في حقبة أوسلو إلى بقعة صفراء اعتراها محاكاة عادات وتقاليد ما زال بيننا وبينها بون شاسع، وتلك النظرة كان لها حيز في أروقة الجامعة التي غدت ملتقى لبعض العشاق الذين انكبوا دون وجل للقاء والهمس واللمز، وكأن الأجواء مهيأة تماماً للألفة والمحبة بين مختلف الأطياف والأعمار... "علق بعض الطلبة: الطالبات في أبهى زينة لهن، جميلات أكثر من أي وقت وكأنهن في حفلة زفاف لا ينقصهن سوى العرسان" (٧٠). وليس من شك أن شاطئ البحر كمكان كان له أثره في فهم الشباب للحياة بمنظار مخالف للواقع لرفضه الممارسات على شاطئ البحر ومن ثم تشويه صورة البحر الجميل.

لقد غدت شوارع بعض الجامعات، والمتنزهات، وبعض الفنادق، والمطاعم، مطمعاً تنهش فيها عيون الوحوش جسد الأنثى التي أبت إلا أن تُظهر مفاتنها، فتنثال العيون تلاحقه في زمن ما زالت الانتفاضة الأولى على بعد حجر من مرماه، وبين همسات العشاق وتكالب بعض الشباب للفوز بود هذه الفتاه أو تلك، كانت الحركة الطلابية تعد العدة للانتخابات النقابية، الكل يخطب الميول لاعتماد الترشيح فالفوز، منهم من يسعى لخدمة الطلبة والارتقاء بالمستوى التعليمي، ومنهم من يسعى لترسيخ مفاهيم لقوى سياسية ذات نفوذ لكسب المزيد من كعكة الفوز، وما يليها من منح وسطوة وعلاقات هزلية لا تجعل الجامعة بمعزل عما يحدث في المجتمع بكل تناقضاته، ومع ذلك ما بدا ظاهراً من فجوات بين أصحاب الجاه والنفوذ وباقي المجتمع العريض الذي توزع بين طابور من الموظفين (بطالة مقنعة)، وأصحاب بيوت مستورة قست عليهم الظروف ومنعتهم عزة النفس من التسول في أمكنة تعود الفلسطيني عليها زمن أوسلو. فمع مؤسسات خيرية لا حصر لها يحاول الفلسطيني عبثاً التحايل على أوضاعه المعيشية حتى لا يخرج من صدره آهة ألم يسمعها المقربون... "ولم تكن المؤسسات الرسمية، وشبه الرسمية، والخاصة مستعدة للنزول إلى الشارع وتحسس احتياجات الناس، كأن لعبة التذلل أمامهم متعة تروق لهم ويفضلونها عن سواها من هذه الأجواء العاصفة بكل الاحتمالات المشبعة بتشفي اللئام من الكرام !" (٧١).

وجهان لعملة واحدة، الغنى والفقر يسيران جنباً إلى جنب، لكن ما يسرّي القلب أن الشريحة الأكبر كانت الشعب، أقصد الفقراء والمستورين الذين عانوا السياسة والاقتصاد، وصلف الأعداء على الحواجز وقهر ذوي القربى،،، فانفجرت الانتفاضة التي رفضت الواقع، وجعلت من صدور اليهود هدفاً يشفي الغليل وربما يقلب الأوضاع، خاصة وأن الحلول التفاوضية وصلت إلى حد متداخل بين الحقيقية والخيال، وارتد الزمن في المخيمات ليذكر بالنكبة التي تؤجج ذكراها حقبة الزمان، ولا تنفك عن رحم المكان الذي تشتم منه رائحة الملوحة والتمسك بحق العودة (٧٢). بيد أن الثمن باهظ فكوابيس الحقيقة والوهم تعصف بالنفس أماكن شكلت ومازالت إشعاعات أمل (بيت حانون. معبر المنطار. مفرق الشهداء. طريق كفار دروم. حاجز التفاح. بوابة صلاح الدين) ثم عدد الذين سقطوا وقصصهم وأحاديثهم، ويتدخل بطل القصة عادل ليضيف للمترادفات السابقة: أنا وميسون ولبنى. ويضيف "ذهبت إلى المواقع المختلفة، ومزجت النشوة بالأسى ... رنوت إلى فضاء احتشاد المفردات ولغة التفاهم تعج بالحيوية والحركة ... صفان متقابلان: واحد للدبابات والعسكر والرصاص الطائش، وبحيرة طنين بعوضها يدق أوتاد الانتماء... والآخر لأمهات يدفعن زكاة الإنجاب، واحداً عن كل خمسة، وينتظرن وداعه عند المقبرة في صحراء وقحة عارية من الأشواك تتنصل من محيطها" (٧٣).

لقد عبرت انتفاضة الأقصى عن تجذر الفلسطيني في أرضه رغم كل ممارسات الاقتلاع والبطش، وعلى الرغم من المشاهد المخزية للأرض العراء التي كانت بالأمس حقولاً خضراء مزروعة بالخضروات والأشجار المثمرة، وأصبحت الآن محروثة على الضفتين من الإسفلت كأنها مبسوطة تستجدي عابري السبيل (٧٤).

على الرغم من ذلك ظلت تلك المواقع تتشابك بل تمتزج مع الزمن في علائق تكشف عن تحول تلك الأمكنة إلى رموز في الرواية الفلسطينية وشواهد على استمرارية العطاء والثورة والتمرد والتصدي للطغيان الجاثم على صدرها ومن حولها، وبقائها مركزاً للإشعاع والأمل في التحرر والخلاص.

أما عن الشخصية فهي القلب النابض لحركة الرواية وهي العنصر الفاعل الذي يسهم في صنع الحدث، ولا تستطيع الشخصية أن تقوم بهذا الدور المهم دون دخولها في نسيج سردي تتضافر في تشكيله أطراف أخرى معينة مثل اللغة والزمن والحيز (المكان) وغيرها. و علاقة الزمن مع الشخصية تتعلق بحركة الموجودات، "فلا قيمة للزمن مع السكون ولا قيمة للزمن خارج وعي الإنسان، فالإنسان هو الذي يسبغ على الزمن مفهوماً محدداً، ويتأثر ذلك بتكوينه البيولوجي والنفسي والثقافي والاجتماعي" (٧٥) و شخصيات الرواية محل الدراسة تتفاوت في أهميتها ما بين شخصيات ثانوية عادية أو مألوفة، ولكن لها دوراً في رسم ملامح البناء الاجتماعي، وقد تمثلت في أصدقاء عادل في الجامعة (طاهرة ومروة وتوفيق وحازم وغيرهم)، وهناك شخصيات رئيسية تجسّد قصة الرواية وتضبط إيقاعها فتؤثر وتتأثر (٧٦)، ومنها شخصية البطل (عادل وميسون حبيبته الأولى ثم لبنى الأولى فالثانية)، ولا ننسى شخصية الطفل الفلسطيني الذي لا يتمثل في فرد بعينه بل برمزية الطفل الذي أخذ على عاتقه التصدي لجحافل الطغاة بصدر مكشوف دون وجل أو نكوص.

والمتأمل لتلك الشخصيات يطرح العديد من التساؤلات التي يتعين الإجابة عليها، منها ما يتعلق بالمؤلف وكيفية تناوله إمكانات الزمن في تصوير شخصياته، من حيث تأثيرهم في قضيتهم أو اندماجهم بظروف المجتمع، هل نسوا الشباب في ظل الأحداث، أم عاشوا الشباب بمنأى عن الأحداث، هل عاشوا ذكرى الماضي أم حلم المستقبل؟!.

إن شخصية عادل كشاب لامع في الجامعة اكتسب احترام الجميع من الفتيان والفتيات فحرصوا على مجالسته والإفادة من خبراته، خاصة وأنه تحصَّل على مرتبة الشرف، ما جعل منه شخصية محورية تنجز الحدث وتعمر المكان وتتفاعل مع الزمن فتمنحهُ معنى جديداً، وإن شخصية بهذه الكيفية حرية بأن تملأ المكان صياحاً وضجيجاً وحركة إلى غير ذلك من التأثير كما يرى بعض الباحثين (٧٧). لقد أكسب عادل وجوده جدية دافقة غدت محل احترام الكثيرين، فكان يتقدم في النجاحات، تراه يساعد أخوته في إتمام تعليمهم على المستوى الخاص، ثم هو يحاول تجذير المفهوم التربوي على المستوى العام، فيسعى إلى جعل الجامعة مؤسسة بناء مجتمعي وليست مجرد مشروع استثماري، يوفر للطلبة سبل دفع الأقساط الجامعية، لا يسعى إلى تسويق المحاضرات المطبوعة، بل ينشد رسالة علمية يجب توصيلها للطلاب والطالبات بأيسر الطرق وبأقل التكاليف للأهل الذين لا يعلم إلا الله كيف يوفرون الرسوم الجامعية كل عام، إنه يريد أن يوصل رسالة المشاعر لتصل القلوب قبل العقول (٧٨). وعندما دق ناقوس الانتفاضة بدأ فكره يتماهى مع الزمن المعيش، فأراد في محاضراته إضفاء صيغة تؤسس لإيجاد صيغة تؤطر حولها مختلف الشرائح بغية الارتقاء بطبيعة الفعل حتى ينسجم مع الشعارات التي ترفع ويرددها معظم أفراد المجتمع، لقد أقنع عادل نفسه ومن ثم زملاءه أن العمل الميداني غالباً ما يفرض شكل التعامل مع المستجدات ويحتم بالتالي الأخذ بالحسبان كل خطوة من شأنها تعكير مزاج الجماهير (٧٩).

ومن الشخصيات المؤثرة التي استحالت بالفعل الميداني إلى جنرالات تنقلها إلى صدارة الحدث ذلك الطفل الفلسطيني الذي جذر البطولة في زمن الخذلان القومي والمحلي. ففي الوقت الذي انحسر فيه دعم القريب والبعيد تقدم الطفل في الميدان، ولنجعل النص يتحدث "آه حسرة على أمة رجالها عنس، نساؤها عقم، شيوخها قعود، بيوتها خرب، مجدها أثلم، عزها في الحضيض، جواريها كرائم، حكامها طوع، نعالهم لا تخدش حياء البيض... تقدم الطفل فحمل وهج الرصاصة صورة الشهادة... قذف الحجر... تحسس جسده المثقوب، وكان يقترب من الحاجز أكثر فأكثر ... شكل الدم المنسكب ولونه الملائكي يغوي عيني المحايدتين على إطالة النظر... التواء جسده قبل السقوط ينادي الناظرين، يستحثهم على أخذ الحجر من يده ووضعه في مفردات اللغة، ومصطلحات السياسيين ... تسجيله باسمه في متحف الاكتشافات الجديدة، وسمه بالعلامة الوطنية الخاصة بأطفال فلسطين" (٨٠).

إن ملامح البطولة عند أطفال الانتفاضة سوف تبرز أقوى ما تكون عندما يزيد الجندي الإسرائيلي من حذره، فذاك الطفل مفتوح الصدر جعل من جرأته سلاحه الذي يكيد به العدا، فكلما تقدم الموت أكثر، هرول الجندي المعتدي للاختباء وراء الحديد بشكل مفزع، حيث بدأت تتجمد في عروقه الدماء ارتعاداً من

الطفل الفلسطيني لقد اقتحمت المقاومة الفلسطينية بشيبها وشبابها وفتيانها حالة اليأس والاستسلام لهذا المصير المجهول متجاوزة مرحلة أوسلو التي ما فعلت إلا تكريس الواقع المؤلم، واقع التشرد واللجوء في المخيمات وغيرها من الوطن الجريح. وقد أكد القاص على هذا المنحى في غير محل (٨١) مركزاً على الفعل الميداني الذي اعتبر قادتهم. بحسهم ووداعتهم. أصحاب القرار، "طفل بعمر الورد يسطر تاريخه الدامي... صبية بلون زهرة الياسمين تعاتب أخاها: يا أخي لا تنسوا ابن عمكم عند توزيع الغنائم كما في المرة السابقة لقد مضى من أجلكم ثم أغمض عينيه إلى الأبد... أمّ تسهر الليالي وتمزج الأوقات في النهار، تطعم وتسقي، تستقبل وتودع، وهي دوماً بانتظار عجوز تخبئ في صدرها المفتاح وفي شراييها الأمل، تطوي السنين وهي ما تزال على وعد حفيدها باقية: سنجتمع يوماً يا ولدي في بيتنا الكبير عند ... جدك الأول ..." (٨٢)، لقد ارتبط الزمن بالشخصيات ارتباطاً وثيقاً لأن الشخصيات هي التي تتحرك وتقوم بدورها الذي ينطلق في إطار زماني لا تنفك عنه.

وكذلك تبدو للزمن بصمات واضحة في مجريات الأحداث، وإن العلاقة بين الزمن والحدث من المرتكزات البنائية لأي عمل روائي. ومن سمات الحدث أيضا اقترانه بالزمان والمكان، لأنه بالضرورة كل فعل يرتبط بزمن يؤدى فيه وحيز يحتضنه، يؤكد ذلك الدكتور عبد الملك مرتاض فيقول: "إن الحدث، من حيث هو، يجب أن يتسم بالزمنية، والزمن، من حيث هو، يجب أن يتصف بالتاريخية في أي شكل من أشكالها"(٨٣).

ورغم أن هناك من الروائيين من يرفض تاريخية الأحداث أو واقعية الأشخاص في أي عمل سردي، مع ذلك لا يستطيعون أن ينكروا في إبداعاتهم. مهما حاولوا. التملص من الزمن أو من دخولهم تحت وطأته، فالزمن ضرب من التاريخ والتاريخ بالضروره ضرب من الزمن، فهما متداخلان، بل هما شيء واحد على حد تعبير بعض الباحثين (٨٤) غير أن طبيعة الدراسة النقدية تضطرنا إلى التمييز بين صنوين من الحدث أحدهما إبداعي يقوم على الخيال البحت، ونجد ذلك متناثراً في بعض جوانب روايتنا محل الدراسة (الانتفاضة الثانية). على قلته. وهناك الحدث التاريخي الذي يحاكي في إطار فني الحقيقة الزمنية بكل ما تحمل من شبكية تستمد حبالها المعقدة من الإنسان وحياته، وصراعه وإصراره (٨٥). وهذه الحالة طغت على الرواية، التي عكست كثيراً من الأحداث بين زمني أوسلو وانتفاضة الأقصى.

وكما يرتبط الحدث بالزمان والمكان، فهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشخصيات إذ إنه لا يمكن أن يقع أي فعل دون فاعل، فالشخصية هي صانعة الفعل (٨٦)، وعلى الرغم من ذلك نجد تلك الشخصية تتأثر بتطور الحدث وينعكس ذلك على سلوكها ومدى تأثير الأحداث فيها، فهؤلاء الشباب الذين أخذتهم حياة الجامعة، وتاهت بهم السبل في سلوكيات مجنونة عبّر عنها الراوي في كلمات يقول فيها: "أي جنون هذا الذي نمارسه في مكان عام ! هل هو الجنون الذي يوقظ حقيقة المغزى الجنسي للتحرش، أم أنه الواقع الذي يتماهى بالتدريج مع ازدياد حاجة كل منا للآخر، أم هي الرغبة الشائنة داخل الإنسان ! لم يكن لدي أفكار مسبقة عما يمكن أن يحدث في هذا الظلام المسالم الذي يفرد جناحيه على رغبات الاشتهاء المتبادل ! ومع ذلك كان من

الاستحالة بمكان ممارسة طقوس الحياة بوقاحة في هذا العراء" (٨٧).

هؤلاء الشباب أنفسهم، سواء من طغت الحياة اللاهية على سلوكهم، أو من ظل يرقب الأحداث، تراه في مرحلة ما يوجه الفعل، وينشئ علاقات جديدة بناء على تطور الظروف. وهنا يمكن الإشارة إلى أن العمل القصصي "ليس مجرد أحداث تحرك الشخوص في اتجاه أفقي من نقطة لتوصلهم إلى نقطة محدودة تبدو فيها النهاية وكأنها حتمية، كما أنه ليس مجرد مجموعة من الأحداث المتشابكة التي تفرض على الإنسان سلوكاً معيناً، بل لابد أن يكون وراء التفاعل القوي بين الأحداث والشخوص في العمل القصصي الجيد كشفٌ لموضوع اجتماعي له قيمته، ينطلق من موقف معاش إلى رؤية مستقبلية، (٨٨) القول السابق يدفع نحو محاولة تغيير الواقع إلى الأفضل، "فلن يتطور مجتمع يتشبث بواقعه ويرفض تغييره إلى الأفضل، أو يصر على الالتفات إلى الماضي لعمل نسخة كربونية منه" (٨٩).

وفي باب الفعل وتحمل مسئولية التغيير نجد فئة الشباب كما يصورها الكاتب تتقدم الصفوف، فتحارب في جبهتين، تمارس قناعاتها أحياناً بسرية في إحدى الجبهات، وفي الجبهة الأخرى تتصدى لجحافل الدبابات الإسرائيلية، وتضحي بالأرواح. وهي أغلى ما نملك. محاولة بناء مستقبل أفضل. فهذا الشاب يقدم على عملية استشهادية في إحدى المستوطنات، وذاك يقود المظاهرات، فيستصغر عادل البطل المحوري ما يقوم به من محاضرات تحريضية أمام فعل الشباب والأطفال فيرد عليه أحدهم، "ولكن عملك لا يقل أهمية عن الحضور في ساحة الاشتباك" (٩٠).

بيد أن عادل وأمثاله تفيض بهم أفكار متضاربة، "الفراغ يملأ الروح ويصعب ترميم الانكسار الداخلي... تتحشد المعاني في عقول راكنة للقائم ولا تسعى نحو تغييره فتضاعف الحسرة. إننا بحاجة إلى قرار واضح وصريح، ينبغي الكف عن التلاعب بمشاعر المواطنين! "لسنا بحاجة إلى قرار، الفعل الميداني هو صاحب القرار ويصوغه بما يراه ملائماً" (٩١).

لقد أصبح الهاجس مرعباً، فأصحاب السلطة في طريق، ومن يقف على خط النار في طريق آخر يتساءلون: "هل كل هذه التضحيات من أجل تحسين شروط المفاوضات؟ ربما، فكل المؤشرات تؤكد هذا التوجه، الأمر الذي يدفع معظم قطاعات الشعب تارة نحو التصعيد بغية عدم الرجوع ثانية للمفاوضات، وتارة أخرى تصاب بالإحباط فتخفت معه وتيرة المواجهات حتى يتراءى للناظر إمكانية خمودها نهائياً" (٩٢).

إن لغة الأنا التي يصوغها الكاتب بلسان عادل هي لسان حال الشباب الذين رهنوا أنفسهم للتضحيات، حين رأوا عجز الآخرين، بعد أن حطم الكبر خلايا أدمغتهم، عليهم ترك الرسالة لجيل آخر، ينبغي عدم الركون إلى ما تورده نشرات الأخبار في بعض الأحيان، من قرب التوصل إلى اتفاق على المسائل العالقة التي تحول دون البدء في تطبيق التفاهمات (٩٣)... الفعل على الأرض كفيل بكسر التحايل على دماء الشهداء الذين تحجرت الدموع في عيونهم دون القدرة على الانسكاب، كيف لا والرجولة تقتضي ألا يودع

الشهداء بالدموع.

لاحظنا فيما سبق مدى تضافر العلاقة بين المكان والحركة من جهة، بين الزمان والحركة من جهة أخري، ثم علاقة الزمن والمكان بأحداث الانتفاضة،وما اعتراها من تعرجات وانكسارات ضمن مناخها المأزوم، الذي من انفك يتصاعد ليحرك المياه الراكدة، ويدفع أمواج البحر كي تقرب شباك الأمل نحو الغد المشرق، تلك التقنيات التي عالجها حبيب هنا في الحدود السابقة لم تكن بدعاً، فهي تلتقي مع الروايات الفلسطينية والعربية في أحداث مشابهه سواء في الانتفاضة الأولى أو الثانية،وان كانت روايتنا تلتقي مع رواية أحمد حرب (الجانب الآخر لأرض الميعاد) الذي تصدى فيها الكاتب لمعالجة موضوع الانتفاضة بعد أن أصبحت واقعاً يومياً لأناس الداخل الفلسطيني، يصور معاناتهم تحت آلة الصلف الصهيوني (٩٤)، وهناك مجموعة (الصبي والشمس الصغيرة) للقاص غريب العسقلاني الذي عالج فيها قضية التعايش بين العرب واليهود،حين عمت الانتفاضة أرجاء الوطن وأخذ كل موقعه، فترا الصديق اليهودي جندياً يحاول قمع الانتفاضة، كما نرى العربي ثائراً يواجه قوات الاحتلال ومن بين أفرادها ذالك الصديق، ورغم قوة الأواصر وعمق العلاقة الا أن المواجه حتمية (٩٥). ورواية(مهرجان في سوق الباذنجان) للكاتب عثمان خالد، بما تحمله من رمزية حاول فيها القاص النظر إلى قضية إنسانيه هامه تردد صداها بين الفينة والأخرى في جنبات المجتمع الفلسطيني، الذي يحضر أهله على تطهيره من الخفافيش التي تعمل على تقويض دعائمه، والالتفاف على نضال أبنائه وإنجازاتهم(٩٦). وهناك روايات محلية وعربية أخرى لاتخلو من التقاء مع روايتنا محل الدراسة مثل (عباد الشمس) و(الميراث) و (باب الساحة) لسحر خليفة، و(تجليات الروح)لمحمد نصار، ورواية (إسماعيل) لأحمد حرب، وتلك الروايات عالجت تداعيات الانتفاضة وما استجلى من مراميها.

تداخل الأزمنة

من المعروف أن الترتيب الطبيعي لسرد الأحداث الروائية يبدأ بالفعل الماضي فالحاضر فالمستقبل، لكن مقتضيات السرد كثيراً ما تتطلب أن يقع التبادل فيما بين المواقع الزمنية، فيرد الحاضر في مكان الماضي، ويحل المستقبل قبل الحاضر، والماضي محل المستقبل على سبيل التحقيق أو التعتيم السردي، ويترك المستقبل مكانه للحاضر على سبيل الانزياح الحدثي (التضليل الحكائي) إلى ما لانهاية من إمكان أطوار التبادل في هذه المواقع الزمنية (٩٧)، وهذا التداخل أو التعاقب في الأزمنة مقصود، بل هو عنصر مهم تنظم فيه أحداث القصة وشخصياتها في سلسلة مترابطة، ويمكن القول إن هذا التبادل في مواقع الزمن له مفهوم دلالي حيث يؤدي إلى غاية جمالية مقصودة، بل هو في رأي أحد الباحثين "ضرب من التوتير الذي يشبه توتير النسيج الأسلوبي باستعمال الانزياح اللغوي فيه" (٩٨).

ومن الكتّاب من يلجأ إلى التحرر من قيود الزمن بالكلية وليس مجرد تبادل مواقع الزمن، "فهو يستطيع أن يعبر أجيالاً أو قروناً بحركة من يده دون أن يحطم الخيال ... كما أنه يستطيع أن يتحرك بين فترتين زمنيتين إلى الأمام أو إلى الخلف كما يشاء" (٩٩). فالماضي في العمل الإبداعي ما يزال حياً بيناً على نحو ما، ويمكن لشخص أن يقرأه إذا تمتع بحساسية كافية لالتقاط ذبذباته ، وصف ذلك بعض الباحثين

بالتكهن النفسيpsyehometry ، غير أن هذا التكهن ليس بالضرورة أن يكون حرفياً في القدرة على النفاذ إلى رؤية الماضي(١٠٠). قد يبدو هذا الفهم مرتبطاً بماهية الزمن النفسي الذي يلغي الأزمنة كما يلغي توالي الوقت وتسلسل الأحداث وتواتر التواريخ المرتبط بحركة الحكاية أو زمنها ويحل محلها القلب وتجليات النفس.

وإن من يحاول دراسة الزمن في الرواية الفلسطينية، يجد نفسه غارقاً في أزمان متداخلة يملؤها الصراع، فزمن الحرب يمتزج بزمن اللاحرب، والزمن النفسي تغمره مراحل الزمن التاريخي، والزمن الحقيقي تطوقه أزمان أخرى عاتية تضطر المبدع إلى وقفات، بحيث يبدأ السرد أحياناً من آخره، أو يضع صيغ الأفعال في درجات متداخلة للوصول إلى هدفه.

وقد تنوعت أساليب السرد في الرواية الفلسطينية، كما تعددت الأصوات السردية واختلفت، ولم تتخلف هذه الرواية – في هذا الأمر-عن الرواية العربية (١٠١)، بل واكبتها في تطورها. كما اختلفت وجهات النظر في الرواية الفلسطينية باختلاف الموقع الذي يتخذه السارد، حيث "ينفتح الموقع في النص الأدبي، خاصة القصصي، على مواقع الشخصيات المختلفة، فيكون عليه إذ ذاك أن يتقن ممارسة اللعب الفني وإبداع أدواته" (١٠٢).

لقد حفل الزمن في روايتنا بعناصر عدة أبرزها عنصر الزمن الحاضر الواقعي، وهو عنصر "ينقل السرد إلى الأمام، ويمثل الأشخاص والأحداث، يعيشون في الحاضر ويتحركون إلى الأمام نحو مستقبل عاجل" (١٠٣)، وعنصر الزمن الثاني هو الزمن الماضي "ويمثل نفس الأشخاص يتأثرون ويؤثرون في كل الزمن المتراكم لتجربة الإنسان بحيث إنهم في كل لحظة من حياتهم لا يتكيفون وحسب بتجربتهم في تلك اللحظة، بل بكل تجاربهم حتى تلك اللحظة" (١٠٤)، ثم هناك عنصر آخر من (اللازمن)، وهو أقرب إلى الزمن المثالي الذي يشبه الكابوس، فيخلو من الأبعاد أو المعايير، وهو هنا يخضع للنموذج العاطفي، فيكون أقرب إلى الفراغ الزمني (١٠٥).

لقد كان الزمن في روايتنا مأخوذاً بضرورات الأحداث التي سيطر الوهم عليها في نصفها الأول، حتى جاءت مختلطة الأشجان، غير واضحة المعالم، حتى لنجد البطل يغرق في شجون ثائرة، يسبح مع صورة الطفلة الحبيبة في حياة حزينة جدرانها من يأس، ولم يستطع الوصول إلى الشاطئ الثاني (شاطئ الأمان) (١٠٦). إنه يحفر في ماضي السنين، في اللاوعي، يتكلم مع لبنى الجارة القديمة، يتذكر طفولتها البريئة، ولكن بعد أن توعرت تضاريسها، يناجيها بعد أن ألحت عليه بالحديث "قسوة الأيام تؤلم حنيني إلى الماضي، ومع ذلك، مازلت أواصل الحفر في تضاريس الذكريات، أخشى إن توقفت، أستصعب العودة إلى أجمل اللحظات... أنحني أمام الريح كي تمر، وأزين الأحلام بالمستقبل... أنت تنظرين في ساحة اللعب عند زاوية الشارع إذا صحوت باكراً وأنا أنسج من حكايات جدتي قصة الشاطر عادل والمخاطر التي يصادفها من أجل الظفر بقلب الأميرة لبنى ... وإذا صحوت قبلك انتظرتك حتى تأتي ونذهب للمدرسة سوياً، وإذا صدف أن

تغيب أي منا احتار الآخر في البحث عن الأسباب... نعاود تلاوة آخر كلمات تبادلناها... تستوقفنا بعض الجمل والمفردات... تتسلل الابتسامة على شفتينا ببطء... يعرف الواحد منا بماذا يفكر الآخر" (١٠٧).

لقد تداخلت صيغ الأفعال، من الماضي إلى الحاضر، ومن الوهم إلى الحقيقة، يناجي لبنى وفي قلبه حب كبير لميسون، ولكن لبنى انثالت عليه بحديث حفر الماضي دون أن يدمل الجرح، "ربما الذي كان بيننا ومضى وهم طفولي صوره عقولنا حقيقية فصدمنا الفراق" (١٠٨). كان الحديث بين عادل ولبنى سريعاً اختلطت فيه المشاعر، ومرت لحظات اللقاء تقص الأخبار وتفاصيل الزمن، مبدية تعاريج الأعوام وصفحات الأيام بين حاضر واقع وماضٍ ما تزال الطفولة أبرز ما فيه، وبين هذا وذاك تتماهى مراحل الزمن لتعطي اللقاء مزيداً من الشوق واللهفة.

ومن المواقف التي نلحظ فيها تداخل الزمن ذلك السؤال الكبير الذي طرحه الكاتب على لسان الشاب الفلسطيني الحائر، الذي اكتوى بأكذوبة أوسلو، هل يعيش الحاضر، ويتحرك إلى الأمام نحو مستقبل عاجل؟ أم يقف مدهوشاً ومتأملاً مرحلة انفضاض الغيوم، وصفاء السماء عن الحقيقة؟ هذا الشاب يتوقف أمام النصب التذكاري للجندي المجهول يتأمل أصبعه المصوّب على الأمام، وقد خرج الناس يتنزهون حوله هرباً من حرارة البيوت ... أطفال بعمر الورد وصبايا يرتدين آخر صيحة للأزياء وشباب مستهترون، وقف ذلك الشاب يناجي نفسه "وأنا يصعب عليّ الآن أن أعيش حياة جديدة رغم أن الأوان لم يفت بعد، لأنني في كل مرة كنت أحاول فيها أن أصطدم بسؤال: ما هو نوع الحياة التي أرغب أن أحياها مع الأفكار التي تحتشد في عقلي؟" (١٠٩). وفي موقف آخر يصرخ ذلك الشاب الحائر: "لو أن الواقع يصبح خيالاً، ويختفي عن الوجود، لكنت قد اختفيت أنا وميسون ولبنى أيضاً، ولم نعد نتعذب بألم، كما هو الحال الآن، غير أنني أدركت استحالة أن يحدث هذا..." (١١٠).

لقد كان ذلك الشاب متأزماً عاطفياً على غير العادة، لا حظنا ذلك في تتابع الأحداث وتسلسلها. ولكن ذلك التأزم يزداد مع الأيام حين تتداخل الأحداث في الجزء المتبقي من الرواية. وتتداخل معه مفردات الزمن بشكل أكثر ضراوة وأعمق تأثيراً، فرحلة أوسلو . على هدوئها الوهمي . كانت ضبابية الشكل، غريبة الواقع؛ لأنها كانت تدور في حلقة هُلامية، ليس لها اتجاه، وجاءت المرحلة الثانية لتملأ مساحة القصة بالسواد والمآسي غير المتوقعة، غير أنها حركت المياه الراكدة، وجعلت القضايا الساخنة للشعب الفلسطيني تطفو على السطح، حين بدأ الصغير والكبير، السياسي وغيره يدرك أن الثوابت لا تفريط فيها.

إن توازي الأحداث مهما تداخلت يظل يخدم إطاراً واحداً، إطاراً عبرت عنه الأجيال المتعاقبة بموروث يعبر فيه الصمت أحياناً بإيماءات تكون أشد وطأة من الحديث الصائت، وإذا برز الحديث كاد يخرج من أتون التجربة، فالشعب الفلسطيني أدمته المجازر اليومية، إنه مشروع شهادة، قدمها قديماً وما يزال. ولا إخال شعباً مثله قد عانى الويلات حتى أصبحت من مكوناته، فألفاظ اللغة تسابقت في كافة أزمانها لتفسح لها مكاناً في قاموس المأساة الفلسطينية (١١١). كلمات أوحى بها الأخ الأكبر لأخته لبنى ابنة الشاطئ عندما لم يجد

للحوار منفذاً في أشواك الطريق الفلسطيني. إن الكاتب في هذه العبارات يقترب من عنصر الزمن المثالي، أو إن صح التعبير (الزمن القهري) الذي لا تخضع فيه محطات الزمن إلى ضوابط، إنها دعوة لانطلاق الشباب إلى هدفهم بكل اندفاع.

في مقابل الصورة السابقة تبرز شخصية عادل داعياً إلى إيجاد صيغة تضمن المشاركة الفاعلة للشباب بما يتفق مع دورهم، حتى لا يقع المجتمع فريسة الاندفاع، التي أوقعته في خطأ التجهيل القاتل، كما حدث في الانتفاضة الأولى. (١١٢).

وبين هذه النظرة وتلك تدور الحوارات بأبعادها المختلفة ويدخل الزمن كجزء من التوتير الذي يحاكي الواقع،، هتافات يرددها المحتشدون عندما يشيعون شهيداً إلى مثواه الأخير، وأصوات أخرى عندما تخبو الريح ويتوقف صخبها، والمسافة بين الرصاصة والرصاصة صرخة مكتومة، وبين الانتفاضة والانتفاضة محطة نرتاح فيها ونصادر المستقبل (١١٣). وبين صخب الشباب وهدوء السياسيين تطفو على السطح الشريحة الأكبر، فتنبش الذاكرة بالعودة للماضي، فيغلب على أحاديثها مقولة إن التاريخ مزور باعتبار الأقوياء هم الذين يقدرون على تكاليف النفقة، هم الذين يسجلونه بالطريقة والشكل اللذين يرونهما مناسبين، في حين أن الذين يصنعونه تصبح أسماؤهم مستعارة قد يختلف البعض حولها (١١٤).

ويميل الكاتب في النهاية إلى زمن الفاعلين مقراً بأن الزمن لا محالة سيفلت من أنياب أصحاب القرار الرسميين ويدخل أزقة الفقراء والعيون مفتوحة على الحرية (١١٥). فلم يعد هناك ما يخيف تحريك المياه الراكدة، فأمواج البحر تتلاحق تباعاً.

الخلاصة

يمكن تلخيص أهم نتائج البحث فيما يلي:-

(١) تنوع الزمن في رواية حفريات على جدار القلب، فجاء بصور متعددة أبرزها الزمن الواقعي ثم النفسي والتاريخي والكوني.

(٢) أوضح الباحث أن تقسيم الزمن في الرواية واجهه صعوبة لا تخفى لتداخل الأزمنة، وإنما جاء التقسيم في الدراسة لضرورة فنية.

(٣) استطاع الكاتب توظيف الزمن مرتبطاً بعناصر الرواية الأخرى من مكان وشخصية وأحداث،مما كشف عن طبيعة العلاقات بين تلك العناصر وتداخل الزمن خلالها بشكل فني لايخلو من غايات جمالية.

(٤) اقتربت الرواية بصورة ظاهرة من المباشرة (التصوير الفوتوغرافي) في معالجة بعض الأحداث وخاصة ضمن الزمن الواقعي،وقد شكل ذلك مأخذاً على أسلوب بناء الرواية، ولكن قد تكون طبيعة الحدث فرضت

هذا الاتجاه في بعض الأحيان.

(٥) يمكن أن تندرج هذه الرواية ضمن روايات الحدث، حيث أولت اهتماماً كبيراً بعدد من الأحداث المرتبطة بالانتفاضة وما سبقها من بعض مشاهد الواقع الفلسطيني المأزوم.

(٦) وازن الكاتب بين السرد والوصف في الرواية ، ولعل حرصه على تصوير الواقع النفسي هو الذي فرض عليه مثل هذه الموازنة.

(٧) تحقق الزمن في روايتنا من خلال التوتير والمعاناة التي عايشها الفلسطيني مع الأحداث، بحيث أصبح للزمن بصمات ضاغطة على الإحساس تحول خلالها إلى زمن بطيء الحركة يقاس بنبضات القلب قبل حسابات العقل.

(٨) التقت هذه الرواية مع روايات أخرى عالجت أحداث الانتفاضة من حيث الاقتراب من نبض الشارع ومباشرة الحدث وتداعياته.

(٩) زيادة الخطاب في معالجة تداعي الأزمنة أو في استرجاع قصص الماضي وحكاياته ، مما ترتب عليه محدودية الحوار واعتماد القاص على عباءة الراوي في التصدي لمادة السرد.

(١٠) أبرزت الدراسة دور الرواية الجاد في خدمة قضايا الأمة ومن ذلك التعبير فنياً عن مدى ارتباط الإنسان بأرضه رغم كل ممارسات الاقتلاع والبطش التي يمارسها الصهاينة مع أبناء الشعب الفلسطيني .

الهوامش

(١) حبيب إسماعيل إبراهيم هنا، من مواليد غزه ١٩٥٤ ،اعتقل في سجون الاحتلال الإسرائيلي لمدة ١٢ عاما وثقف نفسه ذاتيا في مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع والأدب. من مؤسسي اتحاد الكتاب الفلسطيني في غزة، وله أعمال منشوره في مجال الرواية منها:هرم كنعان ١٩٩٩م، وسنوات ملتهبة ٢٠٠٠م ،والانتفاضة، العشيقة، الزوجة٢٠٠٢م، وحفريات على جدار القلب٢٠٠٣م. وفي مجال القصة له: الطريق إلى رأس الناقورة، والحائط، وصليب العاج. وله مؤلفات أخرى منها: الحرب الخامسة والخلفيات السياسية ١٩٨٣وغربة الوطن ١٩٩٨م، وهي تعالج مواضيع اجتماعية وقضايا سياسية وإنسانية تعتلج بهموم أهله ومعاناتهم.

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، (مادة زمن).

(٣) ابن سيدة : المخصص ، ٩، ٦٣.

(٤) عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية ، ٢٠٠.

(٥) إميل توفيق : الزمن بين العلم والفلسفه والأدب ،٣٧.

(٦) سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي ، ٨٤-٨٥، نقلا عن: محمد أيوب : الزمن والسرد القصصي ، ١٥٥ ×لاحظ المؤلف مثلا أن صيغة "فعل" تستعمل أربعة عشر شكلا سواء استعملت منفردة أو بإحدى الأدوات "كان- قد-إذا" وبذلك تصبح تدل على الماضي أو السردي أو الاستقبال أو ما شابه، هذا بحسب أنواع تلك المعنيات. وأن صيغة"يفعل" تأخذ تسعة أشكال زمنية، تكون فيها للماضي أو الحال أو الاستقبال، وعليه فالزمن في العربية لا يمكن استخراجه من الصيغة ولكن

من السياق...انظر:سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص٨٤- ٨٥ ، نقلا عن : محمد أيوب، الزمن والسرد القصصي، ١٠٠-١٠١.

(٧) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، ٢٠١.

(٨) سيزا قاسم : بناء الرواية ، ٤٧.

(٩) هانز ميرهوف : الزمن في الأدب ، ٧.

(١٠) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ٢٠٢.

(١١) محمد أيوب : الزمن والسرد القصصي ، ٣٧.

(١٢) يمنى العيد: الراوي، الموقع والشكل ، نقلا عن : محمد أيوب ، الزمن والسرد القصصي،١٠٤.

(١٣) محمد أيوب : الزمن والسرد القصصي ، ٣٧.

(١٤) السابق ٣٧.

(١٥) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، ٢٢٥.

(١٦) جبرا إبراهيم جبرا : ينابيع الرؤيا ، ١٠٧.

(١٧) اعترف (يغال ألون) بأن الصهاينة شعروا بالحاجة لتنظيف الجليل الداخلية ولخلق تتابع أرضي في كامل منطقة الجليل الأعلى، أما (ناثان حوفشي) فيقر أن اليهود أرغموا العربَ على ترك مدنهم وقراهم بقوة السلاح. انظر: بديعة أمين، الأسس الأيدلوجية للأدب الصهيوني ، ج ٢، ١٨٠. ١٨١، نقلاً عن : محمد أيوب ، الزمن والسرد القصصي: ١٠٨.

(١٨) محمد أيوب : الزمن والسرد القصصي، ١٠٨.

(١٩) السابق: ١١٠.

(٢٠) مصطفى عبد الغني : نقد الذات في الرواية الفلسطينية ، ٢١.

(٢١) Todorov et ducrot., op. Cit.,p .٤٠١.نقلا عن:عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية ، ٢٢٥-٢٢٦.

(٢٢) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، ٢٢٥-٢٢٦.

(٢٣) حبيب هنا : حفريات على جدار القلب ، ١٤.

(٢٤) السابق: ١٩.

(٢٥) السابق: ٢٧.

(٢٦) السابق: ٣٠.

(٢٧) السابق: ٣٩.

(٢٨) السابق: ٩٩.

(٢٩) السابق: ٨٩.

(٣٠) السابق: ٩١.

(٣١) السابق: ٩٢.

(٣٢) السابق: ٩٣.

(٣٣) السابق: ١٠٧.

(٣٤) السابق: ١٠٨.

(٣٥) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، ٢٠٥.

(٣٦) عدنان خالد عبد الله: النقد التطبيقي التحليلي ، ٨٠.

(٣٧) روجرب. هينكل : قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات السرد ، ترجمة د.صلاح رزق، ٢٨.

(٣٨) مندلاو: الزمن والرواية ، ترجمة بكر عباس ، ١٣٧.

(٣٩) غاستون باشلار : جدلية الزمن ،١١٤-١١٥.

(٤٠) يحيى عبد الدايم : تيار الوعي والرؤية اللبنانية المعاصرة ، مجلة فصول ،١٥٦.

(٤١) هانز ميرهوف : الزمن في الأدب ،١٤٤ .

(٤٢) حبيب هنا : حفريات على جدار القلب ، ١٠١، ١٠٢.

(٤٣) السابق: ١٠٣.

(٤٤) السابق: ١٠٣.

(٤٥) السابق: ٩٢.

(٤٦) السابق: ١١٨.

(٤٧) غاستون باشلار : جدلية الزمن: ٦٣.

(٤٨) شجاع مسلم العاني : البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، ٦٩.

(٤٩) سيزا قاسم : بناء الرواية ، ١٣٢.
(٥٠) كولون ولسون : فكرة الزمن عبر التاريخ ،٣١٢.
(٥١) يمنى العيد : في معرفة النص ، ١٣.
(٥٢) هانز ميرهوف: الزمن في الأدب ، ٥١-٥٢.
(٥٣) مندلاو: الزمن والرواية، ١١٥.
(٥٤) حبيب هنا : حفريات على جدار القلب: ص ١٠٩- ١١٠.
(٥٥) السابق: ١٢٢.
(٥٦) يوسف نوفل : قضايا الفن القصصي ، المقدمة.
(٥٧) حبيب هنا : حفريات على جدار القلب، ١٣٦.
(٥٨) السابق: ١٤٠.
(٥٩) عبد الله إبراهيم : المتخيل السردي ، ١٠٨.
(٦٠) حبيب هنا :حفريات على جدار القلب، ٦٩.
(٦١) سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي، ٧٤، نقلاً عن: الزمن والسرد القصصي،١٢٨.
(٦٢) حبيب هنا : حفريات على جدار القلب ، ٦٩.
(٦٣) السابق: ٩٠.
(٦٤) السابق: ٩١.
(٦٥) نبيل أبو علي : في نقد الأدب الفلسطيني ، ٢٢٦.
(٦٦) على عودة : الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية المعاصرة، ١١.
(٦٧) محمد عبد المطلب : تداخلات الرؤية والسرد والمكان في رواية (منتهى) ، مجلة فصول، ٢٠٦.
(٦٨) شاكر النابلسي : مدار الصحراء ، ٢٣٣، ٢٣٤.
(٦٩) حبيب هنا : حفريات على جدار القلب ، ٥٢.
(٧٠) السابق: ٩.
(٧١) السابق: ١٠٨.
(٧٢) السابق: ١٠٠.
(٧٣) السابق: ١٠٦-١٠٥.
(٧٤) السابق: ١٢٤.
(٧٥) محمد أيوب : الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة ، ١٧٤.
(٧٦) روجر ب. هينكل: قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير: ٢٤٩.
(٧٧) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية، ١٠٤.
(٧٨) حبيب هنا : حفريات على جدار القلب ، ٨٢.
(٧٩) السابق: ٩٣.
(٨٠) السابق: ١٠٧.
(٨١) السابق: انظر ٩١- ٩٣- ١٠٣- ١٠٧- ١٢٨ وغيرها.
(٨٢) السابق: ١٢٨- ١٢٩.
(٨٣) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية: ٢٠٩.
(٨٤) السابق: ٢١٠.
(٨٥) السابق: ٢١٠.
(٨٦) محمد أيوب : الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة: ٤٦.
(٨٧) حبيب هنا : حفريات على جدار القلب ، ص ٥٠.
(٨٨) نبيلة إبراهيم : نقد الرواية ، ص ٤٩.
(٨٩) محمد أيوب : الزمن والسرد القصصي: ٤٧.
(٩٠) حبيب هنا : حفريات على جدار القلب ، ٢٥.
(٩١) السابق: ١٢٧- ١٢٨.
(٩٢) السابق: ١٢٢.
(٩٣) السابق: ١٢٣.

(٩٤) إبراهيم خليل : الانتفاضة والرواية ، مجلة الكاتب العربي، ٢٤.
(٩٥) نبيل أبوعلي : في نقد الأدب الفلسطيني ،٣٠٠.
(٩٦) السابق:٢٧٥.
(٩٧) عبدالملك مرتاض :في نظرية الرواية: ٢٢٠.
(٩٨) السابق: ٢٢١.
(٩٩) برناد دي فوتو : عالم القصة ، ١٩٥.
(١٠٠) كولون ولسون : فكرة الزمن عبر التاريخ ، ٣٠٤.
(١٠١) محمد أيوب : الزمن والسرد القصصي :١٥٧.
(١٠٢) يمنى العيد: الراوى، الموقع والشكل ،٣٣ ، نقلاعن:محمد أيوب : الزمن والسرد القصصي، ١٥٧.
(١٠٣) مندلاو: الزمن والرواية، ١٦١.
(١٠٤) السابق: ١٦١.
(١٠٥) السابق: ١٦٢.
(١٠٦) حبيب هنا : حفريات على جدار القلب، ٢٥.
(١٠٧) السابق: ٢٦، ٢٧.
(١٠٨) السابق: ٢٧.
(١٠٩) السابق: ٤٤.
(١١٠) السابق: ٤٩.
(١١١) السابق: ١٠٣.
(١١٢) السابق: ١٠٣، ١٠٤.
(١١٣) السابق: ١٠٦.
(١١٤) السابق: ١٠٩، ١١٠.
(١١٥) السابق: ١٣٦.

المراجع

١- إميل توفيق: "الزمن بين العلم والفلسفة والأدب"، ط١، دار الشروق، القاهرة ، (١٩٨٢م).
٢- برناد دي فوتو :" عالم القصة" ، ترجمة محمد مصطفى هدارة، عالم الكتب القاهرة، (١٩٦٩م).
٣- جبرا إبراهيم جبرا:" ينابيع الرؤيا" ، دراسات نقدية، ، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت(١٩٧٩م).
٤- حبيب هنا : "حفريات على جدار القلب" أو (الانتفاضة الثانية) ، ط١، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة، (٢٠٠٣م).
٥- روجر ب. هينكل :" قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير"، ترجمة وتقديم صلاح رزق، ط ١دار الآداب، القاهرة، (١٩٩٥م).
٦- سيزا قاسم :" بناء الرواية " الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، (١٩٨٤م).
٧- ابن سيدة الأندلسي : "المخصص" المكتب التجاري ، بيروت،(١٩٦٦م).
٨- شاكر النابلسي : "مدار الصحراء، دراسة في أدب عبد الرحمن منيف" ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، (١٩٩١م).
٩- شجاع مسلم العاني : "البناء الفني في الرواية العربية في العراق" ط ١، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ،(١٩٨٦م).
١٠- عبد الله إبراهيم : "المتخيل السردي" المركز الثقافي العربي ، بيروت (١٩٩٠م).
١١- عبد الملك مرتاض : " في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السَرد" المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت(١٩٩٨م).
١٢- عدنان خالد عبد الله : "النقد التطبيقي التحليلي" دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، (١٩٩٤م).
١٣- علي عودة:" الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية ١٩٥٢ .١٩٨٢م" ، ط ٢، غزة ، (١٩٩٧م).
١٤- غاستون باشلار : "جدلية الزمن " ترجمة خليل أحمد خليل ، ط٢ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الجزائر (١٩٨٨م).

١٥- كولون ولسون :" فكرة الزمن عبر التاريخ" ، ترجمة فؤاد كامل، ط١ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (١٩٩٢م).
١٦- محمد أيوب :"الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة" ط ١، دار سندباد للنشر والتوزيع، القاهرة،(٢٠٠١م).
١٧- محمد أيوب: " الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ١٩٦٧ . ١٩٩٣" منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس،(١٩٩٧م).
١٨- محمد عبد المطلب :" تداخلات الرؤية والسرد والمكان في رواية منتهى) مجلة فصول مج ١٦، عدد ٤، القاهرة،(١٩٩٨م).
١٩- مصطفى عبد الغني : " نقد الذات في الرواية الفلسطينية " ، سينا للنشر، القاهرة (١٩٩٤م).
٢٠- مندلاو :" الزمن والرواية" ترجمة بكر عباس، دار صادر، بيروت ، (١٩٩٧م).
٢١- ابن منظور :" لسان العرب" ، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، (١٩٩٨م).
٢٢- نبيلة إبراهيم :" نقد الرواية " النادي الأدبي ، الرياض، (١٩٨٠م).
٢٣- نبيل أبو علي :" في نقد الأدب الفلسطيني" ط ١ ، دار المقداد للطباعة، غزة، (٢٠٠١م).
٢٤- هانز ميرهوف :"الزمن في الأدب" ،ترجمة أسعد رزوق، مؤسسة سجل العرب ،القاهره (١٩٧٢م).
٢٥- يحيى عبد الدايم :" تيار الوعي والرواية اللبنانية المعاصرة " مجلة "فصول"، مج الثاني، عدد٢، القاهرة ، (١٩٨٢م).
٢٦- يمنى العيد : " في معرفة النص" ط٣ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت (١٩٨٥م).
٢٧- يوسف نوفل :" قضايا الفن القصصي" ط ١، دار النهضة العربية، القاهرة (١٩٧٧م).